ميشايل كولهاس

قصة من روائع الأدب الألمانى

عن تاريخ قديم للشاعر الألمانى الخالد

هينريش فون كلايست

نقلها إلى العربية عن الأصل الألمانى

الدكتور أصلى محمد باهى

خريج جامعات ألمانيا

وأستاذ اللغة الألمانية بجامعة الإسكندرية

راجع الترجمة العربية

الدكتور هانز بونتى

الأستاذ المساعد بمعهد جوته بمونيخ

وأستاذ اللغة الألمانية سابقا بمعاهد وزارة التربية بالإسكندرية

مطبعة شركة النشر المصرية

اسكندرية

١٩٦١

اهداءات ٢٠٠٢

أسرة المهندس/محمد عز الدين حياب

الاسكندرية

ميشايل كولهاس

قصة من روائع الأدب الألمانى

عن تاريخ قديم للشاعر الألمانى الخالد

هينريش فون كلايست

نقلها إلى العربية عن الأصل الألمانى

الدكتور أصلى محمد باهى

خريج جامعات ألمانيا

وأستاذ اللغة الألمانية بجامعة الاسكندرية

راجع الترجمة العربية

الدكتور هانز بونتى

الأستاذ المساعد بمعهد جوته بمونيخ

وأستاذ اللغة الألمانية سابقا بمعاهد وزارة التربية بالإسكندرية

مطبعة شركة النشر المصرية

اسكندرية

١٩٦١



هینریش فون کلایست

إهداء الكتاب

إلى زوجتى العزيـزة

فى إخلاص وتقـدير .

كلمة المعرّب

اذا كان لزاما على كل مواطن أن يساهم فى ارتقاء بلاده وتقدمها وتطورها ، فقد تكون الحقبة الحالية بالذات ألزم بعد انطلاقها فى عالم حريتها

واذا كنت قد تخيرت هذه القصة بالذات من روائع الادب الالمانى ، فأن له ما يبرره ، اذ أن جمالها وعظمتها وقيمتها ، هى فى أنها صورة ناطقة لاخلاق شعب

واقتناعا منى بأن من أجل الخدمات ، التى يقدمها الانسان لمواطنيه ، هو أن يسوق أليهم ويضع تحت حسهم، مثلا عليا من المبادىء والاخلاق ، وهذا ما تقدمه هذه القصة فى عظمة وجلال

واذا كنت تخيرت شعبا لاقدم صورة لمبادئه وأخلاقه وشخصيته عن طريق قصة خالدة من أدبه ، فقد تخيرت شعبا أجمع العالم على عظمة أخلاقه ونشاطه وعظمة مكانته فى ميادين العلم والفن والادب

ولما كان أدب هذا الشاعر له قدسيته وحرمته بين مواطنيه، فقد اضطررت أن أراعي في نقل هذه القصة الى العربية ، مراعاة لشعورهم، أن التزم الأصل الالماني نصا وأسلوبا الى أبعد حد ممكن ، ولن أنسى ما قاله لى يوما أحد المستشرقين الالمان حينما عرف أني أنقل قصة لهذا الشاعر الى العربية ، فقد قال لى بالحرف الواحد «أن أدب كلايست عندنا هـو في منزلة المعلقات السبع عندكم» وكان فى هذا القول ما فيه الكفاية فى أن ألزم الاصل كما ذكرت ، نصا وأسلوبا

ومن مميزات هذا الشاعر التى انفرد بها فيما كتبه مـن الادب ، هو ما أعبر عنه فى هاتين الكلمتين «رب الاعجاز فى الايجاز» بحيث أنه لو حذف الانسان كلمـة من جملـة ، لاهتزت تلك الجملة من أساسها مبنى ومعنى ، هذه ميزة أو خاصية لايدانيه فيها أحد على الاطلاق فى الادب الالمانى، كما سجله وشهد به عظماء الادباء الالمان أنفسـهم ، وأذا ذكرت ذلك فأنما أذكره بالذات وبصفة خاصة لاجـل أن يكون القارىء يقظا وهو يقرأ هذه القصة ، انه روعى فى ترجمتها أسلوب الشاعر الى أقصى حد ، فيجهد نفسه الى حد ما فى قراءتها ومتابعة أحداثها ، بحيث يقنـع فى بعض

المواقف بما كتب فى ايجاز ويربط الاحداث بنفسه دائما فى تسلسلها

ولما كنت أود أن يشاركنى مواطنى فخر ما كتبته صحيفة ألمانية كبرى «كولنر شتات انتسايجر» فى عددها رقم ٢١٥ بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٦٠ ، حينما علمت أن مواطنا من الاقليم الجنوبى للجمهورية العربية المتحدة قام بترجمة قصة «ميشايل كولهاس» لشاعرهم الكبير الخالد «كلايست» فأنى أورد نص ما كتبته الصحيفة ضمن مقال لها ، قالت «وأن ما يهتم به بصفة خاصة هو تراجم من أدب الادباء الكلاسيكيين الالمان ، وأن كل من يعرف كلايست ويعرف كولهاس ، يدرك قدر هذا المجهود»

وأملى أن أكون قد ساهمت بهذه القصة عن طريق الادب بقسط متواضع فى انطلاق بلادنا الى أعادة مجدها التالد وعظمتها الخالدة

والله ولى التوفيق

أصلى محمد باهى

هينريش فون كلايست
حياته وأعماله

اقتسم هينريش فون كلايست مع كثير من الشعراء نصيب العباقرة ، لقد كان هذا الشاعر فى عبارته وانتاجه سابقا لزمانه، حتى أن الانسان لم يفطن الى قدره ومكانته الا بعد مرو مائة عام على وفاته ، فلم تحظ ابان حياته واحدة من تمثيلياته الدراماتيكية العظيمة بخشبة المسرح ، حتى ان تمثيليته الهزلية «الانـاء المحطم» والتى مثلت فى فايمار وذكاها جوته نفسه للمسرح كانت فشلا ذريعا ، ربما كانت جرأة أسلوبه التصويرى فى حواره الثائر المكشوف مما لم يستطع القرن الثامن عشر احتماله ، هى السبب المباشر فى أن يبقى كلايست ــ الذى ربما كان أعظم رجالات الادب الذين أنجبهم الادب الالمانى ــ مجهولا هذه الحقبة الطويلة ولا عجب اذن اذا سمع الانسان أن جوته نفسه رفض هذه

الروح المجددة الثائرة التى تهوى الاتهام ، وردها كداعية الى الاغراء

ولد كلايست فى ١٨ اكتوبر سنة ١٧٧٧ فى مدينة فرانكفورت على نهر الاودر وأعده والده الذى كان «مقدما» (مايورا) بالمعاش للحياة العسكرية كضابط فى الجيش تمشيا مع تقاليد الاسرة وقد أسمى الشاعر فيما بعد ، السنين السبع التى عدها أمر فترة مرت بحياته ، لسليقته الشاعرية ، الزمن الذى أجبر أن يقضيه فى خدمة الطوزلق[1] ، وفى سنة ١٧٩٩ ترك خدمة الجيش كضابط برتبة ملازم فى الجيش الملكى البروسى ، واتجه الى دراسة علمية بفرنكفورت ، غير أنه لم يكن يعتزم ان يتكسب عيشه عن طريق العلم ، وفى جهاده المبكر من أجل الحقائق الاخيرة فى الحياة ، وفى نضاله فى صراع من أجل المهمة التى خلق لها ، وقد أنهكه يأس مبرح ، ركن كلايست الى الانزواء فى وحدة موحشة فى ضيعة بسويسرا ، وقطع علاقته بالناس ، كما فسخ خطبته من فلهلمينا فون تسينجه ابنة جنرال بفرانكفورت ، تلك الخطبة التى كانت قد تمت فى

---

١ ـ كناية عن الخدمة العسكرية .

سنة ١٧٩٩ .

في هذه الفترة (١٨٠١ ــ ١٨٠٢) كتب كلايست تمثيلية مأساته الاولى «اسرة شروفنشتاين» ثم أعقبتهـا فى بعث عبقري ، يعد أعظم ما كتبه كلايست ، «روبرت جويزكارد» وهى كما قال فيلاند ، محـاولة عظيمة ناجحـة فى كتابـة تراجيدى ، جمعت مزايا الادب اليونانى وأدب شيكسبير فى صعيد واحد ، وفى نوبة من نوبات يأسه المشئوم ، مزق كلايست تمثيليته ، بعد أن أتمها ، فلما أعاد فيما بعد كتابة مطلعها من ذاكرته ، أدرك عظم الخســارة التى نجمت عن تمزيقها ، وفى سنة ١٨٠٣ كتب قصة «الاناء المحطم» ، التى تعد اليوم أعظم تمثيلية المانية هزلية بعد تمثيلية ليسـنج «مينا فون بارنهيلم» ، واليوم لا يمكن الانسان أن يتخيل أن المسرح الالمانى يستطيع أن يتحرر منها .

ولما أصيب كلايست بانهيار كلى فى معنويته ، نتيجـة لاعتقاده فى عدم كفاءته فى امكان تحقيق ما تصبو اليه نفسه من مثل عليا فى الادب ، التحق فى سنة ١٨٠٥ بخدمة الدولة فى كينجزبرج ، الا أن عمله الجديد فى خدمتها ، لم يستطع أن يقضى على نداء نفسه ، فان روح حب التعبير لم تهدأ فى

نفسه ، بل دأبت هذه الروح وسعت الى ان وجدت مجالاً لها فى ميدان النثر ، فكتب كلايست عدة قصص انتزعها من بطون أحداث تاريخية ، وساقته كتابتها الى درسدن ، ثم الى برلين ، ونشرها فى مجلـة فويس التى أصـدرها فى درسدن ، ولا تدانى هذه القصص ، قصص أخرى فى اللغة الالمانية فى قوتها القاهرة فى التعبير

ثم كتب التمثيلية ذات الشـعر الرائع «كيتشن فون هايلبرون» وأعقبتها فى فترة وجيزة «معـركة هيرمان» ــ وهى نداء مؤثر للجهاد من أجل تحرير الوطن من نابليون ، ولم يكن لهذه التمثيلية ، التى كانت مصباحا وهاجا مـن الوطنية الحقة ، حظ على خشـبة المسرح ، كمـا لم تكن التراجيدى «بينتيسيليا»، والتى كانت أيضا شعلة من الادب المتأجج ، الملهب للمشاعر ، أكثر حظا منها ، ؛ مع أنهما كانتا فى الواقع تحفة عالمية ، حتى أن جوته ، ــ وقد كان كلايست يأمل منه أن يدفع بتمثيليته الى الامام، ــ تقهقر أمام طوفان هذه المشاعر الفياضة ؛ والتى لم يكن فى الامـكان كبـح جماحها .

وفى عام ١٨١٠ استقر الشاعر نهائيا فى برلين وانضم الى

حلقة من القصاصين الوطنيين أمثال أرنيم وفوكيه وميلر وبرنتانو، وحاول عبثا أن تمثل انضج وأعظم مأساة كتبها، وهي «أمير فون هومبرج»، وأخيرا وفق فى كسب عيشه نوعا ما ، حينما صدرت صحيفة برلين المسائية أذ أمكنه اذ ذاك أن يعرض على الجمهور بعضا من أتناجه الادبى ، على صفحاتها ، غير انه لما منعت السلطات البروسية صدور هذه الصحيفة الناجحة ، انهارت قواه الى الحضيض، بعد أن بلغ النحس به فى حياته غايته ، وفى ١١ نوفمبر سنة ١٨١١ ترك الحياة بمحض اختياره .

لقد كانت نهاية مرة فى حياة مبكرة ، ولكنها كانت مرارة تغلغلت فى أعماق نفس هذا الشاعر ، وكان لها ما يبررها والواقع انها لم تكن ضربات القدر العديدة الظاهرة التى انهالت على نفسه ، هى التى دكت كيانه وقضت عليه، ولا مسلك جوته السلبى تجاهه ، ولو أن هذا المسلك منه قد أقض مضجعه كثيرا فى فايمار، الا أن الشاعر نفسه قال مرة «لقد كتبت عليه التعاسة فى الحياة ولا مفر له منها»، والواقع أن نمو رغباته المطلق ، وعدم رضاه عن انتاجه الذى لم يرو غلته ، وعدم أدراك الناس له ، الذى كان هذا العبقرى

معرضا له على وتيرة دائمة ، والعزلة المطلقة التى فرضها عليه اتتاجه الذهنى ، والتوتر العاطفى فى معنويته ، كل هذه المفارقات التى لم تجد لها حلا ، هى فى الواقع ، السبب الحقيقى فيما أقدم عليه فى النهاية ، او كما عبر هيبيل أذ قال «قذف بنفسه خارج هذا العالم الذى يرثى له ، كما لو كان هو الطائر الوحيد فيه الزائد عن حاجته »

ولا مراء فى ان تمثيليات كلايست الدراماتيكية تستقر فى صميم الادب الخالد والمثالية القصصية ، سواء من حيث تكوينها الاسلوبى أو مادتها القصصية ، ليس ذلك فحسب ، بل أنها فتحت حقبة جديدة فى عالم الادب ، بل وتمثل بدء تطور جديد فيه ، ولا أدل على ذلك من أن فى شرعتها ، سار الادب الالمانى فى طريق سريع الى فن قرض الشعر الحديث. وليس أسلوب كلايست فى النثر بأقل مكانة منه فى الشعر ، وان قصصه لتحتضن بين دفتيها عالما مترامى الاطراف من الاسرار والشخصيات فى أضيق ما يمكن أن يتخيله أنسان من مكان ، وان ما قاله جوته فى تعريفه للقصة بأنها «حدث شيق فريد فى نوعه» هو ما وفق فيه كلايست وحده بالمعنى الكامل ، فهذه اليد الكاتبة التى لا يلتبس فى

شخصيتها ابدا ، وذلك العنف فى قوة التعبير لغة ، وهــذا الضرب الاوحد فى تكوين عبارته ، كل هذا فريد فى نوعه فى الادب الالمانى

فى هذا الكتاب الصغير الحجم دونت قصة من أروع ما كتبه هــذا الشاعر وستظل قراءتها دائما ممتعة ، شــيقة متجددة ، لعشاق الادب ، بل وستفتح ثغرة للراغبين فى أن يتغلغلوا الى نفسية شاعر ، هو من أعظم الشعراء عبقريــة ونبوغا ، وليس كلايست من الشعراء الخالدين فى نطــاق ضيق بل أن أدبه بالذات ، هو من طراز نموذجى خالد له عظمته وجلاله .

ميشايل كولهاس
قصة عن تاريخ قديم

حوالى منتصف القرن السادس عشر ، كان يقيم على شواطىء الهافل [1] تاجر خيول يدعى ميشايل كولهاس ، وكان ابنا لمعلم مدرسة ، وكان من أعدل الناس فى زمانه ، وفى نفس الوقت من أرهبهم كان هـذا الرجـل الخارق للعادة ، من الممكن أن يعتبر حتى سن الثلاثين ، كنمـوذج للمواطن الصالح وكان يملك ضيعة فى قرية ، التى كانت تحمل اسمه ، وكان يتعيش فى هدوء من مهنته فيها ، وربى أولاده الذين وهبتهم له زوجته ، فى ظل الخوف من الله ، على الاجتهاد فى العمل والاخلاص ، ولم يكن هناك أحـد من جيرانه لم يتمتع بأحسانه أو عدالته ، وأجمالا كان لابد للعالم من أن يبارك ذكراه ، لو لم يفرط فى تمسكه بأحدى

---

١ ــ الهافل ، فرع من نهر الالب الادنى ، ينبع من حوض بحيرة دامبكر ، ويدنو فى مجراه من مدينة برلين .

الفضائل ، وجعله الشعور بالحق لصا وقاتلا

صحب ذات يوم قطيعا من صغار خيله ، التى كان ينم مظهرها عن حسن علفها ورعايتها ، صحبها الى الخارج ، وكان يطارح فكره نواياه بالربح الذى يأمل أن يناله فى ساحة الاسواق من ورائها ، فيقول لنفسه على عادة الملاك الطيبين ، «جزءا أستغله فى ربح جديد ، وجزءا أتذوق به متعة الحياة الحاضرة» ، حتى اذا وصل الى نهر الالب ، وعند قصر منيف لاحد الفرسان النبلاء، وعلى أرض مقاطعة سكسونيا ، وجد حاجز حدود قائما ، لم يسبق له أن رآه فى هذا الطريق من قبل ، فوقف بخيله فى مكانه ، وكان المطر ينهمر بشدة فى تلك الآونة ، ونادى الحارس ، الذى سرعان ما أطل عليه بوجه كدر من النافذة ، فطلب منه ان يفسح له الطريق ، وبعد فترة طويلة ، خرج المكاس من بيته وأقبل يتهادى نحوه ، فعاجله تاجر الخيل بقوله «ما هذا الشىء الجديد هنا ؟ » فأجابه المكاس «لقد منح اليونكر [1] فنتسيل فون ترونكا امتياز السيادة على الارض» فقال كولهاس «أذن اليونكر يدعى فنتسيل»

١ ـ اليونكر هو مالك ارض يحمل لقب النبالة.

وتطلع الى القصر الذى كان يطل بأبراج براقة الى الحقول، ثم سأله «هل مات السيد الكبير ؟» فأجاب المكاس ، وهو يدع الحاجز يرتفع الى أعلى «مات بسبب نزيف فى المخ» وتنهد كولهاس وقال «لقد كان سيدا ، مسنا ، ذا مهابة ، وكان أحب ما كان الى نفسه . هو أن يرى الناس يتعاملون فى وئام فيما بينهم فى ظل الاخذ والعطاء، وأن يبدى المعونة أينما استطاع، وأذكر أنه شيد جسرا من الحجر ، لان فرسا لى كسرت ساقها بعيدا من هنا ، فى المكان الذى يؤدى الطريق فيه الى القرية» ثم سأله «والآن ما هو المبلغ الذى تريده منى ؟ » ثم أخرج النقود التى طلبها الحارس فى تراخ والرياح تعبث بالرداء الذى كان يتدثر به ، فلما همهم الحارس ، وهو يلعن الطقس ، «أسرع ، أسرع» قال له كولهاس « نعم أيها الرجل المسن ، لو أن الشجرة التى صنع منها الحاجز بقيت قائمة فى الغابة ، لكان هذا خيرا لى ولك » ، ثم أعطاه النقود ، وهم بالركوب ، غير أنه لم يكد يخطو الى ما وراء الحاجز ، حتى سمع صوتا آخر ينبعث من برج خلفه يقول ، «قف عندك يا محتال» ، ثم رأى أمين القصر يغلق نافذة ويسرع مهرولا نحوه، فقال كولهاس

يسائل نفسه « ماذا جرى يا ترى؟ »، ووقف بخيله ، وأقبل أمين القصر ، وهو يعقد زرا فى صديريه، الذى يحيط ببطنه الكبير، ثم وقف أمامه وهو يقاوم شدة الرياح ، وسأله عن جواز المرور ، فقال كولهاس « جواز المرور ؟ » قال وهو يشعر بشىء من الدهشة ، «أنه حسب الواقع ، ليس معه هذا الجواز ، ويود لو يوصف له هذا الشىء الجديد الذى هبط من السماء ، فلربما كان هو من باب الصدفة مزودا به » ، فقال له أمين القصر ، وهو يتفرســه فى نــوع من الخيلاء ، بأنه لن يسمح لتاجر خيل بأن يجتاز الحــدود بخيله ، من غير أن يكون معه جواز مرور اميرى ، غير أن تاجر الخيل عاد فأكد له ، أنه اجتاز الحدود سبع عشــرة مرة فى حياته من غير تصريح كهذا ، وأنه ملم جيدا بجميع اللوائح الاميرية المتعلقة بمهنته ، ولذا فأنه يعتقد انه لابد أن يكون هناك خطأ فى هذا الموضوع ، الامر الذى يرجو أن يتبين جيدا ، كما يرجو أن لا يطول احتجازه بلا مبرر، ولا سيما أن أمامه يوم سفر طويل ، فرد عليه أمين القصر قائلا : فلتكن المرة الثامنة عشرة هى المرة التى لن يستطيع أن يتسلل فيها عبر الحدود بدون جواز سفر، وأن هذا أمر

صدر حديثا ، وأنه مخير، اما أن يستخرج جواز مرور من مكانه ، أو أن يعود من حيث أتى ، غير أن تاجر الخيـل ، الذى أثار حفيظته هذا الاستغلال التهديدى غير المشروع، نزل بعد تفكير قليل من صهوة جواده وسلمه الى خادم ، وقال له « بأنه يرغب فى التحدث الى اليونكر فون ترونكا نفسه فى هذا الشأن ، ثم أتجه الى الحصـن وتبعـه أمين القصـر ؛ وكان يدمـدم [1] عن جامعى المـال [2] الجشـعين البخلاء وتنزيفهم المربح [3] ،ثم دخل الاثنان البهو معـا ، وكل منهما يزن الآخر بنظراته ، وصادف أن كان اليونكر يجلس مع زمرة من الاصدقاء المرحين يقارعون الكأس ، وفى اللحظة التى كان كولهاس يدنو فيها من اليونكر ليقدم له شكواه، انطلقت ضحكة مدوية أطلقتها قصة مضحكة ، سأله اليونكر عما يرومه ، ولما أحدق الفرسان فى الرجـل الغريب ، سكتوا ، غير أنه لم يكد يذكر لسيد القصر أن شكواه خاصة بخيله حتى هلل الجميع صائحين «خيل ؟ ،

١ المقصود به هنا : تاجر الخيل

٢ ـ المقصود به : طبقة النبلاء من مالكى الارض

٣ ـ المعنى المقصود : استنزافهم المال من الشعب ، الذى يأتى لهم بالربح الوفير

وأيـن هى؟» ثم تسابقوا الى النوافذ ، ثم جروا ؛ لما رأوا هـذه الفصيلة الرائعة ، بناء على اقتراح اليونكر ، هابطين الى فناء القصر ، وكان المطر قد توقف ، وتجمع أمين القصر ومدير شئونه والخدم حولها، وأخذوا يحدجون النظر فيها ؛ فمن مادح فى الجواد الثعلبى اللون ذى الغرة البيضاء ، الى معجب بالجواد الادكن ، الى ثالث يمر بيده على جواد ملون بمزيج من البقع السوداء والصـفراء ، وأجمع الكل على أن الخيل أشبه بالغزلان ، وأنه لا يوجد فى البلاد تتاج أحسن منها، فردكولهاس عليهم فى نشوة قائلا، بأن الخيل ليست بأحسن من الفرسـان النبـلاء الذين سيركبونها ؛ وعرض عليهم أن يشتروها ، ولما كان اليونكر معجبا للغاية بالجواد الثعلبى اللون القوى ، فأنه سأله عن ثمنه واقترح مدير شئون القصر أن يبتاع سيده بضـعة جياد سوداء ، اعتقادا منه أنها ضرورية لسـد النقص فى الجياد اللازمة لادارة العمل ؛ غير أنه عندما أفصح تاجـر الخيل عن سعره ، رأى الفرسان النبلاء أنه مبالغ ، وقال اليونكر ، بأنه يجب أن يذهب الى حلقة الفرسان النبلاء ، ويقصد الى الملك أرتوس ، اذا قدر خيـوله بهـذا الثمن

المرتفع ! ». ولما رأى كولهاس ، أن أمين القصر ومديره
شئونه يلقيان بنظرات ناطقة على الجياد السوداء وبتهامسان ،
أوحى اليه شعور داخلى بأن يعمل جاهداً لبيعهم اياها ، ثم
قال لليونكر «أيها السيد : لقد اشتريت هذه الجياد
السوداء منذ ستة أشهر بخمسة وعشرين جولدن ذهبيا ،
أعطنى ثلاثين وخذها » ، وقال فارسان ، كانا واقفين بجوار
اليونكر ، بنوع من الصراحة ، بأن الخيل تستحق فى الواقع
هذه القيمة ، غير أن اليونكر قال بأنه مستعد أن يدفع هذه
القيمة من أجل الجواد الثعلبى اللون ، ولكنه لا يرغب
أن يدفع مالا من أجل الجياد السوداء ، وهم ينصرفون ،
وعند ذلك قال له كولهاس ، بأنه يأمل فى المرة المقبلة ، حينما
يمر بخيله عبر أرضه ، أن يستطيع أن يتم صفقة معه ،
واستأذن منه فى الانصراف ، وأمسك بمقود جواده ، وهم

(١) اسطورة تحكى عن ملك يدعى أرتوس فى القرن السادس
بعد الميلاد ، وتحكى الاسطورة عنه أنه قام بغزوات عديدة
وكان عماد جيشه اثنى عشر فارساً نبيلا ، وكانوا هم
المقربين منه والمتمتعين ببذخه وثرائه ، والمقصود به قولا
فى تهكم : ان يذهب إلى هؤلاء الفرسان النبلاء وملكهم
ارتوس فهم أقدر على دفع الثمن الذى يطلبه لجياده .

بركوبه ، واذا بأمين القصر يبرز فى تلك اللحظة من بين الجميع ويقول له : ليعلم بأنه لن يستطيع السفر من غير جواز مرور ، وعند ذلك اتجه كولهاس الى اليونكر وسأله : عما اذا كان هذا التصرف، الذى يدمر تجارته ، له صوابه، فرد عليه اليونكر ، فى نوع من الارتباك الذى دل عليه سرعة انصرافه ، قائلا « نعم يا كولهاس ، لابد لك من الحصول على جواز مرور ، تحدث مع أمين القصر [1] واستمر فى طريقك[2] »، الا أن كولهاس عاد فأكد له بأن ليس فى نيته ، أن يتملص من اللوائح القائمة الخاصة بتصدير الخيل ، ووعد بأنه ، عند مروره بدرسدن ، سيستخرج جواز مرور من الادارة السرية [3] ، ورجاه بأن يعفيه هذه المرة ، حيث أنه كان يجهل هذا الاجراء ، وكان الجو قد بدأ يعصف من جديد والرياح تزيد من لطماتها فى أطراف جسم اليونكر النحيفة فقال « والآن دعوا هذا البائس يسير فى حاله [4]» ، ثم التفت الى الفرسان النبلاء ، وهو يعتزم العودة الى القصر ، وقال «هلموا»، وعند ذلك

١ ــ محذوف : وانه الامر معه
٢ ــ المقصود به : واذهب لقضاء شئونك
٣ ــ المقصود به : فى عرفنا «ادارة الامن العام»
٤ ــ محذوف : موجها كلامه الى امين القصر ومدير شئونه

استدار أمين القصر الى سيده ، وقال ، بأن أقل شيء نطلبه، هو أن يترك لنا تاجر الخيل ضمانا ، لنتأكد من أنه سيستخرج جواز مرور ، فعاد اليونكر ووقف تحت بوابة القصر ، فسأل كولهاس ، ما الذى يراد تركه كضمان ، هل هو ضمان نقدى ، أم عينى ، مومئا الى الجياد السوداء، فهمهم مدير شئون القصر ، وهو يعبث بلحيته، قائلا، بأنه يمكنه أن يترك الجياد السوداء ، وعقب أمين القصر على ذلك بقوله «معقول» ، فهذا أنسب حل ، ومتى استخرج جواز المرور فأنه يستطيع أن يسترد خيله فى أى وقت ، - فلما فوجىء كولهاس بهذا الطلب الصفيق، قال لليونكر، الذى كان ممسكا بالجزء الاسفل من سترته أمام بطنه ، وهو يرتعش من شدة البرد ، بأنه لا يستطيع ذلك لانه عازم على بيعها ، وفى تلك الآونة اخترقت عاصفة من المطر الشديد والبرد بوابة القصر ، فقال اليونكر، رغبة منه فى سرعة انهاء الموضوع ، «اذا لم يرد أن يترك الخيل فاطرده الى ما وراء الحاجز» ، ومشى ، ولما رأى تاجر الخيل ، أنه لن يستطيع أن يقاوم أعمال العنف التى هدد بها ، وافق

على ما طلب منه ، وحل مقود الجياد السوداء ، وقادها الى الحظيرة التى أرشده اليها أمين القصر ، وترك كولهاس خادما ، وأعطاه نقودا ، ونبه عليه ، بأن يعنى بالخيل جيدا حتى يعود ، واستأنف رحلته بباقى الجياد قاصدا الى ليبزيج ، حيث كان يعتزم أصلا زيارة سوقها السنوى ، وفى نفس الوقت كان الشك يداعبه ، عما اذا كان قد صدر قانون كهذا فى مقاطعة سكسونيا ، حيث ان تربية الخيل كانت قد بدأت تنبعث فيها

ولما كان كولهاس يملك بيتا بحظائر خاصة ملحقة به فى أحدى ضواحى مدينة درسدن ، حيث كان يقصد عادة من هناك الى أسواق البلاد الصغيرة ، يمارس تجارته فيها ، فأنه قصد الى هذه المدينة تو وصوله ، ثم الى الادارة السرية فيها ، حيث كانت تربطه صلة معرفة ببعض مستشاريها ، وهناك علم منهم ، ما كان يعتقده قبلا فى قرارة نفسه ، من أن مسألة جواز المرور ، ان هى الا خرافة ، وطلب الى المستشارين والامتعاض يسودهم[1] ، أن يعطوه أثباتا رسميا بأن ذلك لا أساس له ، ثم

[1] ـ محذوف : من تصرف اليونكر وورجاله

ابتسم على ما أسماه «مزاح اليونكر النخيف»[1] ولو أنه كان يسائل نفسه فى نفس الوقت ، ما الذى كان يهدف اليه من وراء ذلك ، وبعد أن انقرضت بضعة أسابيع ، وفق كولهاس فى خلالها الى بيع قطيع الخيل الذى أخذه معه ، أقل راجعا الى قصر ترونكنبورج ، من غير أن يتحسس أى شعور آخر بالمرارة ، غير ذلك الناجم عن التعاسة العامة فى العالم[2] ، وتجنب أمين القصر أن يدخل مع كولهاس فى حديث عندما أبرز له الوثيقة الرسمية ، وأجابه أمين القصر ، حينما سأله عما اذا كان يستطيع الآن أن يستعيد خيله ، بأن ما عليه الا أن يذهب الى مكانها ويأخذها ، وحدث بينما كان كولهاس يخترق ساحة القصر ، ان فوجىء بخبر غير سار ، لما قيل له ، بأن خادمه ضرب وطرد بعد بضعة أيام من تركه له فى قصر ترونكنبورج ، بسبب مسلكه الخارج عن حدود الأدب ، فلما سأل الغلام ، الذى أبلغه هذا الخبر ، عما ارتكبه خادمه ، ومن تولى رعاية الخيل

١ ـ راق لكولهاس أن يتهكم فى هذه اللحظة على تعبير فهم اليونكر فذكر بجافة جبينه ، ترضية فقط لمشاعره نحوه

٢ ـ المقصود به : غير ناقم على ما حدث لشخصه بالذات ، ولو أن مرارة انبعثت فى نفسه من أجل التعاسة العامة التى كانت تسود شعوب العالم .

من بعده أجابه بأنه لا يعلم ، وعند ذلك اندفع كولهـاس الى الحظيرة التى كانت الخيل بداخلها ، وفتحها ، وهـو يوجس شرا ، وكم كانت دهشته شديدة ، لما رأى ، بدلا من جواديه الاسودين ، الاملسين ، الدسمين ، آخـرين أعجفين مرهقين ، تعيسين ، عظامهما أشبه بخطافات يستطيع الانسان ان يعلق الاشياء على أطرافها ، طوقهما الشعرى حول العنق متصمغ لانعدام العناية بهما ، أنهما كانا صورة حية للتعاسة الحقة فى عالم الحيوان، وبلغ الحنق بكولهاس أشده ، لما صهل الجوادان اليه بحركة مرتخية ، وأخـذ يتساءل ، ما الذى أصاب خيله ، فأجابه الغلام ، الذى كان لا يزال واقفا الى جواره ، بأنه لم يصبهما أذى قط ، وأنه كان يقدم اليهما العلف اللازم ، غير أنهما بمناسبة موسم الحصيد وعدم كفاية مواشى الجر ، استخدما بعض الوقت فى الحقول ، وانفجر كولهاس يرسل اللعنات على أعمـال العنف القذرة المبيتة ، غير أنه كظم غيظه فى غمرة عجزه ، ولم ير أمامه الا أن يجهد نفسه فى الاسـراع بمغادرة وكر اللصوص ، حيث أنه لم ير أمامه غير ذلك ، غير أن أمين القصر استرعاه الحديث ، فجاء يستطلع الخبر ، فقال لـه

كولهاس «أتسأل ما الخبر؟» من الذى صرح لليونكر فون ترونكا ورجاله أن يستخدموا خيلى ، التى تركتها هنـــا ، للعمـــل فى الحقـــول ؟ » ، ثم أردف يقـــول ، وهــــل كان هـــذا مـــن الرحمـــة ، وحـــاول أن يســـتفز الخيل المجـــهدة بلطمة عســـلوج [1] ، وأراه أنهـــا لـــم تتحرك ، فنظـــر اليـــه أمـــين القصر لفتـــرة نظرة تحـــد ، ثم قال له « حقا انك سمج ، لقد كان الاجدر بك أيها الفظ أن تحمد الله ، أن الخيل لا تزال على قيد الحياة » ، ثم سأله «من هو ذا الذى يعنى بها ، ما دام خادمها قد مشى ، ثـــم ألم يكن طبيعيا أن تستخدم الخيل فى الحقول مقابل ماقدم لها من علف ؟» ، وختم كلامه بأن قال له ، بأنه لا يسمح بمثل هـــذه الســـخافات فى الحـــديث هنـــا ، وألا فأنـــه سيستدعى الكلاب ، ويعرف اذ ذاك ، كيف يعيد السكينة الى ساحة القصر ، وهنا استبدت بتاجر الخيل سورة من الحنق ورغبة جامحة ، فى أن يلقى بهذا المخلوق عـــديم القيمة ، ذى البطن المنتفخ ، فى الوحل ، ويضع قدمه فوق وجهه النحاسى ، الا أن شعوره بحقه ـ كان أشبه بميزان الذهب ، كان لا يزال يتذبذب ، وهو أمام نفسه وضميره

---

١ ــ بشىء شبيه بسوط

عينيه متأكداً: هل هناك حقاً ذنب يقع على كاهل ذلك الرجل؟
وبينما كان يستقبل الشتائم صامتاً ، تقدم من خيله ، وهو
يرى الظروف في صمت ، يهندم من طوقها الشعري المسترسل
بطول عنقها ، ثم سأل بصوت منخفض: ما الذي أتاه خادمه
فأبعد من الحصن ؟ فرد عليه أمين القصر قائلا «لان هـذا
الكهول كان عنيداً داخل القصر ، فعارض بعناد ضرورة
التنصت تعيير الخطيرة ، وأراد أن يقضى جوادان ليونكرين
وقفا على قصر ترونكنبورج الليل كله على قارعة الطريق
من أجل خيله العجفاء » وكم كان كولهاس يود راضيا أن
يضحى بقيمة الخيل ، لو أتيح له في هذه اللحظة ، أن يكون
خادمه بجانبه ، ليقارن أقواله بأقوال أمين القصر ، هـذا
ذي الفم الغليظ ، وكان كـولهـاس لا يـزال اذ ذاك
واقفا بجوار خيله السوداء ، يمر بيده على شعرها المتلبد ،
يرود نفسه عما يجب عليه في موقفه هذا أن يعمله ، واذا
بالموقف يتغير فجأة ، حينما هبط اليونكر فنتسل فـون
ترونكا ، راكبا جواده مع زمرة من الفرسان النبلاء والخدم
والكلاب على خيل غره ، الى ساحة القصر ، عائدين مـن
صيد الارانب البرية ، فلما سأل ، ما الخبر ، التقط أمين

القصر الكلمة فى الحال ، فى حين أن اندفعت الكلاب فى تلك الاثناء فى نباح مريع ، لما رأت هذا الرجل ، الغريب عن المكان ، من ناحية ، والفرسان تحاول أسكاتها من ناحية أخرى ، واندفع أمين القصر يشوه الموقف بحقد مرير ، متهما كولهاس فى جرأة بالثورة ، وصاح قائلا «لالنا تجرأنا واستخدمنا خيله السوداء بعض الوقت » ثم يقول وهو يبعث ضحكة ساخرة ، «أنه يرفض أن يعترف بأن هذه الخيل ، خيله» ، وعند ذلك صاح كولهاس قائلا «أنها ليست خيلى ، أيها السيد المهاب ، أنها ليست الخيل التى قيمتها ثلاثون جولدن ذهبيا ، أنى أريد خيلى الدسمة القوية » ، نزل اليونكر عن جواده ، وقد شحب وجهه للحظة ، ثم قال «اذا كان أ•• الع••[1] • لا يريد أن يأخذ الخيل ، فليكن » ، ثم صاح ، وهو ينفض الغبار بيده عن سرواله،«هيا ياجونتر، هيا ياهانز»، ثم عاد وصاح، وهومع الفرسان النبلاء تحت قبو الباب « ألينا بنبيذ » ، ثم دخل الى البيت ، فقال كولهاس ، بأنه يفضل أن يدعو حانوتى

---

[1] ـ انهما لفظان مستهجنان لغة ، فأكتفى بأن اشير اليهما بالحرفين الاولين منهما ، كما ورد فى الاصل الالمانى

الحيوانات، ويطلب اليه أن يلقى بالخيل فى مقبرة الحيوانات النافقة ، عن أن يقودها، هكذا كما هى الآن ، الى حظيرته فى كولهازنبروك ، وترك خيله واقفة فى مكانها من غير أن يلتفت اليها ، وقفز فوق جواده البنى ، وهو يؤكد بأنه سيعرف كيف يصل الى حقه ومضى •

وبينما كان يعدو بجواده يسابق الريح فى سرعته فى طريقه الى درسدن ، اذ مر بخاطره شبح خادمه، والشكوى التى أثيرت ضده فى الحصن ، فهدأ من سرعة جواده ، الى أن أصبح الجواد يسير به الهوينا، وقبل أن يتم به ألف خطوة أخرى ، ارتد صوب كولهازنبروك ، حيث رأى من الحصافة فى التفكير ومن العدل ، أن يسبق ذهابه الى درسدن ، استجواب الخادم ، حيث انبعث فى نفسه شعور واقعى ، بالنظام الكسيح القائم الآن فى هذا العالم ، يوحى اليه، بأنه لو كان خادمه يحمل الذنب فيما جرى ، كما يدعى أمين القصر ، فأن ضياع الخيل منه يكون نتيجة عادلة لذلك ، رغم ما أصابه من أهانة، غير أنه من ناحية أخرى ، استولى عليه شعور قوى ، كان يزداد تغلغلا فى نفسه ، كلما استمر فى سفره ، وحل فى مكان ، فسمع عن مظالم عتيدة ترتكب

فى كل يوم فى ترونكنبورج ضد المسافرين ، بأن تلك الواقعة برمتها ، ان هى الا أمر مبيت ، كما تتحدث عن ذلك جميع الملابسات فى وضوح ، وهنا عاهد كولهاس نفسه ، ليأخذن على عاتقه بذل كل ما فى نفسه من قوة ، لينال الترضية الكافية على الامتهان الذى أصابه والطمأنينة لمواطنيه مستقبلا •

وما أن وصل الى كولهازنبروك حتى عانق ليزبت زوجته المخلصة وقبل أطفاله الذين كانوا يتعلقون فرحين بساقيه، ثم سأل على الفور عن خادمه الكبير هرزه ، وعما اذا كانت لم تأت أنباء عنه ، فقالت ليزبت «أنك تسأل عن هرزه يا عزيزى ميشايل ! تصور أن هذا المسكين عاد منذ أربعة عشر يوما الى البيت مثخنا بالضرب المبرح ، لا بل مثخنا لدرجة أنه كان أيضا عاجزا عن التنفس بسهولة ، فحملناه الى الفراش ، حيث كان يبصق دما بغزارة ، وسمعنا منه على سؤالنا المتكرر ، قصة لم يفهمها أحد: كيفأنك تركته فى ترونكنبورج مع خيل لم يسمح لها بالمرور ، وكيف أنه أجبر ، بأفظع ما يتصور من سوء المعاملة ، الى ترك الحصن وكيف أنه لم يكن فى مقدوره أن يصطحب الخيل معه »

فقال كولهاس، وهو يخلع المعطف ، «اذن هذه هى القصه، وهل قد استعاد صحته الآن ؟ » فقالت «فيما عدا بصق الدم [1] ، الى نصف قوتها ، وكنت معتزمة أن أبعث فى الحال بخادم آخر الى ترونكنبورج للعناية بالخيل حتى تعود أنت اليها ، ولما كنت أقدر أخلاص هرزه لنا بما لا يدانيه آخر فى ذلك ، فأنى فى الواقع لم أتشكك لحظة فى صدق كلامه ، ولا سيما فى الوقت الذى تسنده فيه شواهد كثيرة كهذه ، كما لم يتسرب قط الاعتقاد الى نفسى ، أنه ربما يكون قد أضاع الجياد بتصرف آخر منه ، وقد استحلفنى أن لا أطلب من أى انسان أن يظهر [2] فى وكر اللصوص هذا ، وأن أعتبر الخيل فى حكم الضائعة اذا كنت لا أريد أن أضحى بحياة انسان آخر من أجل ذلك» فسألها كولهاس ، وهو يخلع رباط العنق ، « هل لا يزال ملازما للفراش؟ » فأجابت « أنه عاد منذ بضعة أيام يتجول فى أرجاء المزرعة » واستطردت تقول «وأنك سترى أن كل ما قيل صحيح، وأن هذا الحادث ، أن هو الا أجرام من

---

١ ــ محذوف : عادت صحته

٢ ــ المقصود به : أن يذهب الى

سلسلة الاجرامات التى يسمحون لانفسهم بارتكابها منذ عهد قصير ضد الغرباء فى ترونكنبورج» فرد كولهاس «هذا ما لابد لى من أن أتبينه أنا أولا بنفسى، ناده الى ، يا ليزبت ، اذا كان خارج الفراش» ، وبهذه العبارة استلقى كولهاس على المقعد ذى المسند ، وذهبت ربة البيت وهى جذلة لهدوئه ، وأتت له بالخادم .

فسأله كولهاس حينما دخلت عليه الغرفة ليزبت برفقته « ما الذى فعلته فى ترونكنبورج ، أنى غير راض عنك » فأجابه الخادم بعد برهة من الصمت ، علت خلالها وجهه الشاحب عدة بقع حمراء عند ما سمع هذه الكلمات «انكم على حق يا سيدى ، فقد شاءت الاقدار أن يكون معى فتيلة كبريت، كنت مزمعا أن أحرق بها وكر اللصوص الذى طردت منه ، لولا أن سمعت طفلا يبكى ، فألقيتها فى مياه الالب [1] ، وقلت ، فلتحوله [2] صاعقة من الله الى رماد ، ولكنى لن أرتكب أنا هذا» فقال له كولهاس فى ريكة

---

١ ــ نهر يتجه من أواسط المانيا الى شمالها ، ليصب فى بحر الشمال

٢ ــ المقصود به : وكر اللصوص

مفاجئة «ولكن ما الذى فعلته حتى سببت طـردك مـن ترونكنبورج؟» فقال هرزه «بسبب تصرف سيء يا سيدى» وجفف عرقه من جبينه وأردف يقول « ولكن الاحـداث لا يمكن تغييرها ، لقد أردت أن أحول عن أن يقضى على الجياد بجرها للعمل فى الحقل ، فقلت بأنها لا تزال صغيرة، ولم يسبق لها العمل فيه » ـ فرد عليه كولهاس وهو يحاول أخفاء ربكته ، بأنه لم يتحر الصدق تماما فى هذه النقطة ، لان الخيل استخدمت قليلا فى بدء الربيع الماضى فى الحقل، ثم استطرد يقول « وكان الاجدر بك ، وأنت على شاكلة ضيف فى الحصن ، أن تجامل أهله مرة أو بعض مرة ، لمـا رأيت أنهم فى ضيق بسبب ضرورة سرعة الحصاد » ـ فقال هرزه « وهذا ما فعلته أنا أيضا وقلت فى نفسى ، ولاسيما لما رأيتهم يواجهوننى بوجوه غير ودودة ، لا مانع من أن تؤدى الخيل السوداء بعض العمل، فذلك لن يكلفها جهدا، وفى ضحى اليوم الثالث شددتها الى مركبات النقل، وأديت بها ثلاث حمولات من الحبوب» ـ فقال كولهاس، والغيظ يكاد يقتله ، وقد أرخى بنظره الى أسفل،: «ولكن ياهرزه، لم يذكر لى أحد شيئا من هذا القبيل ! »، غير أن هرزه عاد وأكد له ذلك ثم قال « أما عدم مجاملتى ، فهو لانى رفضت

أعادة شد الخيل ــ والتى كانت لم تنته من غذائها بعد ــ الى المركبات ، ثم لانى حينما عرض على أمين القصر ومدير شئونه أن أرضى باستخدام الخيل ، مقابل أن يمدوها بالعلف مجانا من عندهم ، على أن أحتفظ لنفسى بثمن هذا العلف، الذى أعطيتنى أنت أياه لهذا الغرض ، فأجبتهما ، ربما كانت نجوم السماء أقرب لهما ، ثم أدرت لهما ظهرى وانصرفت» فقال له كولهاس « ولكنك لم تطرد من ترونكنبورج من أجل عدم المجاملة هذه » ، فصاح الخادم « فليحمنى الله من ذنب ينسى المذنب فيه ربه ، ففى المساء جىء الى الحظيرة بجوادين لفارسين من النبلاء ، وفدا على ترونكنبورج، وربط جواداى الى باب الحظيرة ، فلما سألت أمين القصر ، الذى كان قد أتى بهما الى هذا المكان ،وكنت قد تناولتهما فى يدى ، وأين سيستقر جواداى ، قادنى الى حظيرة خنازير ، التى كانت كناية عن مجموعة من ألواح خشبية مستندة الى حائط القصر»، فقاطعه كولهاس قائلا « تعنى أن تقول ، أنه كان مأوى سيئا للخيل ، حتى أنه كان أقرب الى الشبه بحظيرة للخنازير عن أن يشبه حظيرة للخيل» فأجاب هرزه « انها كانت حظيرة خنازير حقا وواقعيا ، وكانت دائبة الحركة فيها ما بين الدخول والخروج منها ،

حتى أني ماكنت أجد مكانا للوقوف فيه » فقـال كولهاس « ربما لم يكن هناك مكان آخر للخيول السوداء ، وبديهى أن خيل الفرسان النبلاء تكون بنوع ما أكثر رعاية » فرد عليه الخادم ، وقـد خفض من صوته قائلا « كان المـكان صيقا ، فقـد كان يقيم فى الحصن اذ ذاك سبعة فوارس ، ولكن لو كنت أنت حاضرا لكنت ضممت الخيل قليلا الى بعضها البعض ، ثم كما قلت أردت أن أبحث لى عن حظيرة فى القرية ، غـير أن أمين القصر قال لى ، بأنه لابد له مـن أن يحتفظ بالجوادين تحت حسـه ، وحذرنى من أن أبتعد بهما عـن القصر » فسأله كولهاس « وماذا فعلت بعد ذلك ؟ » فأجاب « ولما قال لى مدير شئون القصر ، بأن الضيفين سيقضيان الليلة فقط بالقصر ، ويستأنفـان سفرهما فى الغد ، اتجهت بالجوادين الى حظيرة الخنازير ، ولكن اليوم التالى انقضى ولم يرحل الفارسـان ، ولما حل اليوم الثـالث قيل بأنهما سيمضيان فى القصر بضعة أسابيع» فقال له كولهاس «وأخيرا لم تكن الاقامة فى حظيرة الخنازير سيئة ياهرزه ، كما تخيلت عندما أدخلت أنفك فى بادىء الامر الى داخلها » فقال هذا « حقيقة ، ولمـا كنست المكان قليلا ، أصبح الامر محتملا

وأنقدت الخادمة بعض الدريهمات على أن تضع الخنازير فى مكان آخر : وعملت على أن تستطيع الخيل أن تستريح فى وقفتها خلال النهار ، بأن عمدت عند انشقاق الفجر ، الى رفع الالواح الخشبية العليا من قوائمها ، فاذا أقبل المساء أعدتها الى مكانها . وكانت الخيل تطل برؤوسها من سقف الحظيرة كالاوز من سقف القفص ، تنطلع صوب كولهازنبروك أو صوب مكان آخر يكون أحسن مما هى فيه » فسأله كولهاس « اذن لماذا اشترك الجميع فى طردك ؟ » فأجاب الخادم « لقد قلت لك ياسيدى ، لانهم كانوا يريدون الخلاص منى ، لانهم لن يستطيعوا مادمت أنا موجودا أن يهلكوا الخيل : فكنت أقابل فى كل مكان ، فى ساحة القصر وفى غرفة الخدم بأوجه عابسة ، ولما قلت فى نفسى ، فليعبسوا وليتأففوا حتى تنتلخ مفاصل أفواههم ، خلقوا المناسبة وطردونى من القصر » فقال كولهاس « ولكن ما هو السبب ! ، لابد أنه كان لديهم حقيقة سبب ما ! » فأجاب هرزه « بدون شك ، وأعدل مايكون ، ففى مساء اليوم الثانى لاقامتى فى حظيرة الخنازير ، ركبت الجياد ، لما رأيتها قد تلوثت ، وأردت أن أذهب بها الى المغسل ، الا أنى

ما كـدت أخطو عبر بوابة القصر لانحرف الى هناك ، حتى سمعت أمين القصر ومدير شئونه يرافقهما الخدم والكلاب يندفعون بالعصى من داخل غرفة الخـدم صائحين : امسك اللص ! أمسك الوغد ! ؛ كمـا لو كان جن مسهم ، فلمـا اعترض حارس البوابة طريقى ، واندفعت الجموع الثـائرة نحوى ، سـألتهم ، مالكم ، ماذا جرى ؟ » فرد عـلى أمين القصر ، ماذا جرى ؟ وأمسك بمقود جوادى الاسودين ثم بخناقى وقال لى « الى أين أنت ذاهب بالجوادين ؟ » فقلت له « عجبا تسألنى ،الى أين أنا ذاهب ؟ ياسـلام ! ، ذاهب بهمـا الى المغسل ـ أتظن أنى ؟ ، فصـاح فى قائلا « الى المغسل ؟ سأعلمك يامجرم ، أن تذهب سـابحا طول طريق الجيش حتى تصل الى كولهازنبروك ! ثم قـذفنى ، بوجه يطفح غدرا ، هو ومدير شئون القصر ، الذى أمسك بساقى من فوق الجواد ، بحيث أنى غرقت بكل جسمى فى الاوحال، فصحت فيهم « تبـا لكم ياقتلة ياخاسئين » ؛ وكنت قـد تركت سرج الجوادين والاغطية وحقيبة ملابسى بالحظيرة ، وفى الوقت الذى قاد فيه مدير شئون القصر الجوادين الى الحظيرة ، انهال على أمين القصر والخـدم ركلا بأقدامهم ،

وضربا بالسياط والهراوات ، الى أن سقطت على الارض خلف بوابة القصر منهوكا ؛ خائر القوى ، ثم قمت واقفـا وناديتهم «أنتم أيها اللصوص الاوغاد، أين ذهبتم بالجياد؟» فصاح فى أمين القصر «أخرج من ساحةالقصر» ، ثم التفت الى الكلاب ونادى «عليك به يا كايزر ، يا ياجر وبا شبتز» وهجم على قطيع من الكلاب يزيد عددها على الاثنى عشر كلبا ، وهنـا انتزعت شيئا من الحاجز ؛ لا أعرف على وجه الدقة ، ماذا كان هـذا الشىء ، ويغلب عـلى الظن أنه كان عسودا من الخشب ، وصرعت به ثلاثة كلاب الى جانبى ؛ ثم استسلمت من شدة الالم بعد أن نهشت الكلاب لحمى، وعند ذلك انطلق صفير بصوت تقليدى، فدلفت الكلاب الى داخل ساحة القصر ، ثم أغلق جناحا البوابة وشد الرتاج من الخلف، ووقعت فى الشارع مغشيا على » فقال كولهاس ، وهو ممتقع اللون فى مزاح متكلف « أما كنت تتمنى لو أمكنك الهروب ياهرزه ؟ » فلما علت وجهه حمرة داكنـة وهو يرخى بطرفه الى أسفل ، عاجله كولهاس بقوله « اعترف لى ! لم ترق لك الاقامة فى حظيرة الخنازير ، وقلت فى نفسك ، ان الحياة فى حظيرة كولهازنبروك لاشك أفضل » فقال هزره « ياآلهى !

لقــد تركت السروج والاغطية وحقيبــة الملابس بحظــيرة الخنازير ؛ أما كنت أخذت الثلاثة رايشسجيلدن معى ، تلك التى أخفيتها فى الكوفية الحريرية الحمراء خلف المذود ؟ يا آلهى ! ، أنكم حينما تتحدثون الى هكذا، أتمنى ، لو أن فتيلة الكبريت التى ألقيتها ، كانت الآن معى ، لاشعلتها ثانيــة » ــ فقــال تاجر الخيل « فى الواقع الآن ، لم يكن المقصود الاساءة ، ثم لتعلم أنى مصدقك فى كل كلمة قلتها ، وسأتناول العشاء المقدس أنا بنفسى من أجل ذلك ، متى جاء الحديث عن هذا الموضوع [1] ، وأن ما يؤلمنى هو أنى كنت أتمنى لو كنت أسعد حظا فى عهد خدمتك عندى ، والآن لتنصرف ياهرزه، ولتذهب الى فراشك ودعهم يعطونك زجاجة من النبيذ ، وآس نفسك ، فستطرق العــدالة يوما بابك » ثم قام ودون قائمة بالاشياء التى تركها خادمه الكبير بحظيرة الخنازير ، كمــا دون قيمتها ، ثم سأله عن تقديره لنفقــات علاجه ، وبعد ذلك سمح له بالانصراف بعد أن صافحه مرة أخرى •

وبعد ذلك أخذ يروى لزوجتــه ليزبت مجرى الواقعــة والارتباط الداخلى لها برمتهما ، كما بين لهــا أنه اعتزم أن

١ ــ قول دينى مأثور يقال ، عندما يريد به قائله أن يقول بأنه مصدق كل ما قيل كلية ، وواثق فيه كل الثقة

يطالب بالمحاكمة العلنية ، وكان مسرورا لان يراها تعضده فيما انتواه من أعماق روحها ، بدليل أنها قالت له بأن بعض المسافرين ، وقد يكونون أقل صبرا منه ، قد يمرون بهذا الحصن . أنها ولا شك مشيئة الله أن يوضع حد الآن لهذه الفوضى ، وأنها تريد أن تبدأ فى جمع النفقات التى ستكلفه اياها اقامة الدعوى ، وكان كولهاس يسميها ، زوجته النشطة . وقضى كولهاس هذا اليوم واليوم الذى تلاه وسط زوجته وأولاده مغمورا بالسعادة ، ثم قام ينهى أعماله بشكل ما على عجل ، ثم بدأ بعد ذلك رحلته الى درسدن ليرفع شكواه أمام المحكمة .

وفى درسدن دون كولهاس شكوى بمساعدة أستاذ فى القانون تربطه به صلة معرفة ، والتى طلب فيها بعد تصوير مجهد للجريمة التى ارتكبها معه اليونكر فنتسيل فون ترونكا ومع خادمه هرزه، طلب معاقبته طبقا للقانون واعادة جواديه اليه كما كانا قبلا ، وتعويضه وتعويض خادمه عن الاضرار التى لحقت بهما ، وكان الحق فى الواقع ظاهرا فى جانبه ، وكفى احتجاز الخيل غير القانونى ، ليلقى ضوءا على صحة باقى ما حدث ، حتى ولو سلم الانسان جدلا على أن الخيل

أصيبت اتفاقا بمرض فان لتاجر الخيل مع ذلك الحق فى طلب اعادتها اليه سليمة ، فضلا عن أن كولهاس فى تجواله فى العاصمة ؛ لم يعدم أن يلقى أصدقاء وعدوه باستعدادهم المطلق لمعاضدته فى قضيته ، وساعدته اتساع تجارته فى الخيل على التعرف على أكبر شخصيات البلاد ، كما ساعدته أمانته التى كان يتبعها فيها على كسب عطف هذه الشخصيات ، وتناول الطعام أكثر من مرة وفى جو من المرح لدى محاميه ، الذى كان أيضا من ذوى الحيثية والمكانة ، ثم قدم اليه كولهاس مبلغا من المال ليمول به نفقات القضية ، وعاد بعد عدة أسابيع الى زوجته بكولهازنبروك ، وهو مفعم ثقة منه بنتيجة قضيته ، وانقضت أشهر عدة وقاربت السنة على الانتهاء من غير أن يصله اشعار من سكسونيا بالقضية التى أقامها حتى ولا قرار فيها ، وبعد أن اتصل بالمحكمة أكثر من مرة بلا جدوى بعث الى محاميه يسأله فى خطاب سرى ، ما الذى يسبب تأخيرا كبيرا كهذا ؟ فعلم منه أن القضية فشلت فى محكمة درسدن بأيحاء من شخصية كبيرة ، فلما سأله تاجر الخيل فى رده فى دهشة ، لها ما يبررها فى نفسه ، أنبأه أن اليونكر فنتسيل فون ترونكا تربطه صلة قرابة

بيونكرين هما هنتز وكونتز فون ترونكا ، الاول منهمـا يعمل ساقيا عند هذه الشخصية الكبيرة والثانى أمينا له ؛ ثم نصحه بأن يذهب ليأخـذ جـواديه الموجـودين الآن بترونكنبورج من غير أن يتمادى فىالالتجاء الى القضاء ، وأفهمه ان اليونكر فنتسيل فون ترونكا ، والذى يقيمحاليا بالعاصمة ، يلوح أنه أرسل تعليمات الى رجاله هناك بأن يسلموه الجوادين ، وختم خطابه بأن طلب اليـه على الاقل أن يعفيه هو ، اذا كان لا يريد أن يقتنع بذلك ، من تكليفه بمهمة أخرى فى هذه القضية .

كان كولهاس فى ذاك الوقت بالذات فى براندنبورج التى تتبعهاكولهازنبروك أداريا، وكان محافظالمدينةهينريشفون جويزاو منهمكا فى تلك الآونة فى اقامة بضع مؤسساتخيرية للمرضى والفقراء بفضل هبة مالية كبيرة هبطت علىالمدينة، وكان مهتما بصفةخاصة بنبع معدنى انبثقفىقريةفى المنطقة، والذى كان الناس يتوقعون فى قدرته على الشفاء أكثر مما أثبتته الايام فيما بعد ، وكان رائده أن يهيئه لعلاجالمعلولين، ولما كان كولهاس معروفا لجويزاو بسبب بعض المصالح ، وذلك عندما كان فون جويزاو من رجال البلاط ، فأنـه

سمح لهرزه الخادم الكبير الذى كان يشكو ألما عند التنفس فوق الصدر من جراء تلك العلة التى أصيب بها منذ ذلك اليوم المشئوم فى ترونكنبورج ، سمح له بأن يحاول علاج هذا النبع الصغير فى مرضه ، وكان النبع قد هيىء بسقف وجدران من حوله ، وتصادف أن تواجد المحافظ على حافة حوض الحمام نفسه الذى وضع كولهاس هرزه فيه - ليصدر بعض الاوامر وذلك فى اللحظة التى تسلم كولهاس الخطاب المحزن ، الذى بعث به أليه محاميه فى درسدن ، والذى حملته زوجته رسولا خاصا ليسلمه اليه ؛ وكان المحافظ يتحدث اذ ذاك مع الطبيب لما رأى دمعة تسقط من عين كولهاس على الخطاب الذى جاءه وفتحه ، فتقدم المحافظ منه، وفى عطف وأخوة ، سأله عن مصابه . فناوله كولهاس الخطاب من غير أن ينطق بكلمة، فربت هذا الرجل الكبير على كتفه وقال له، بأنه وصل الى علمه هذا الاجرام الشنيع الذى ارتكب ضده فى ترونكنبورج، والذى أصيب من جرائه هرزه بعلة ، قد لا يبرأ منها طول حياته ، ثم قال بأن لا يفقد شجاعته وبأنه سيساعده الى درجة ترضيه. وفى المساء لما ذهب تاجر الخيل الى قصر المحافظ

بناء على أمره قال له المحافظ بأن يكتب التماسا فقط الى أمير براندنبورج الناخب [1] بوصف موجز للحادث ويرفق به خطاب محاميه ، وأنه يطلب منه الحماية السامية بسبب أعمال العنف التى ارتكبت معه على أرض سكسونية، ووعده المحافظ بأنه سيضم التماسه بطلب الرعاية السامية الى رسالة أخرى معدة لارسالها الى الامير وبأن التماسه سيصل قطعا معها الى يد الامير الناخب وأنه سيحول بدون شك ــ متى سمحت الظروف ــ الى أمير سكسونيا ولن يتطلب الامر أكثر من ذلك ، لينال عدل القضاء من محكمة درسدن ، رغم ألاعيب اليونكر وأذنابه ، وشكر كولهاس المحافظ من أعماق قلبه ، وهو مفعم فرحا على الدليل الجديد القاطع على اخلاصه له فى صداقته ؛ وأن أسف فأسفه لانه لم يتجه بقضيته من بادىء الامر الى برلين، من غير أن يبدأ اجراءه فى درسدن، ثم قصد كولهاس بعد ذلك الى سكرتارية محكمة المدينة، حيث دون شكواه حسب مطالبه بالضبط ، ثم أعطاها للمحافظ وعاد بعد ذلك

---

١ ــ هو لقب كان يسند الى لقب الامير الذى كان يشترك فى انتخاب ملك المانيا

الي كولهازنبروك ، وهو أكثر ما يكون اطمئنانا على نتيجة قضيته منأى وقت مضى ، ألا أنه علم بعد بضعة أسابيع ما أثار غمه من جديد ، وذلك من أحـــد رجال المحكمة الذى كان قد سافر الى بوتسدام فى أعمال للمحافظ ، علم منه أن الامير الناخب سلم شكواه الى المستشار جراف كالهايم ، وهذا بدلا من أن يبعث بها مباشرة ، والذى لاح أنه كان أفيد ، الى بلاط درسدن للتحقيق وتوقيع العقاب من أجل أعمال العنف التى ارتكبت ، بعث بهـا يطلب معلـومات مؤقتة أوضح من اليونكر فون ترونكا ــ عندما وقف رجل المحكمة بمركبته أمام مسكن كولهاس ، والذى يلوح أنه كان مكلفا أن يؤدى هذا التبليغ الى تاجر الخيل ، عجز عن أن يجيبه على السؤال المفاجىء المربك: لم تصرف هكذا بعدم أعطاء استعلام مرض ، وأضاف رجل المحكمة فقط أيضا يقول ، بأن المحافظ يطلب منه أن يتمسك بالصبر ، ولاح أنه كان على عجل ليستمر فى رحلته ، وأمكن كولهاس ، فى نهاية هذا الحديث القصير من خلال بضع كلمات تساقطت أن يستنتج أن جراف كالهايم تربطــه صلة نسب ببيت فون ترونكا ، وفقد كولهاس سعادته فى تربية خيله وفى منزلـه

وفى مزرعته حتى وفى زوجته وأولاده ، وقضى الشهر التالى فى انتظار ما تحمله ظلمات المستقبل ، وتمشـيا مع ما كان يتوقعه تماما ، عاد هرزه بعد انقضاء هذه الفتـرة مـن براندنبورج ، وقـد أسـدى النبـع الى صحتـه بعض التحسن ، حاملا معه خطابا من المحافظ يرافقه قرار كبير ، وكان فحوى الخطاب : كم هو يأسف أنه لم يسـتطع أن يؤدى عملا فى قضيته ، ويبعث أليه بقرار رئاسة الحكومة الذى أرسل اليه ، وأنه ينصح له أن يأخذ خيله التى تركها فى ترونكنبورج، وأن يضع حدا لقضيته ـ وهذا نص القرار «أنه حسب تقرير محكمة درسدن ، رجل مشاكس ، عديم القيمة ، أن اليونكر الذى خلف عنده خيله لا يمنعـه بتاتا من أخذها، ومطلوب منه أن يبعث الى الحصن[1] ويأخذها أو على الاقل ، يبلغ اليونكر عن المكان ، الذى يرغب ان ترسل اليه فيه ، وعلى أى حال فرئاسة الحكومة تود أن لا تزعج بمثل هذه المضايقات والمشاغبات»، غير أن كولهاس لم تكن آلامه من أجل الخيل لذاتها، فأنه كان يشعر بنفس

---

١ ـ محذوف : شخصا

الالم حتى لو كان الامر يعنى بضعة كلاب ، وأرغى وأزبد كولهاس حينما تسلم هذا الخطاب ، وأخذ يتطلع الى باب الطريق ، كلما سمع أصواتا تنبعث فى فناء المزرعة ، ظنا من أن تكون أصوات قدوم رجال اليونكر ، جاءوا لعيدوا أليه خيله، ولو جائعة منهوكة، وربما بكلمة اعتذار ، ولربما كانت هذه الواقعة الوحيدة[1] التى أبعد ما كانت عن روحه[2]، التى أنشأها المجتمع مهذبة ، وهى تتوقعها اليوم [3] ، غير أنه ما لبث أن سمع من أحد معارفه الذى اخترق هذا الطريق ، أن خيله لا زالت تستخدم فى ترونكنبورج مع سائر خيل سيد الاقطاعية سواء بسواء فى فلاحة الارض . وبينما كان كولهاس يرى الدنيا فى ظل آلامه مفعمة بالفوضى المفجعة ، واذا بشعور بارتياح داخلى بالرضى ، ينبعث فجأة من أعماق نفسه ، وذلك لأن فى النهاية ضميره مستريح ، فدعا أليه جاره الذى كان مأمورا ، وكان يداعبه منذ زمن

---

١ ـ المقصود بالواقعة : الصدام الذى حدث بينه وبين اليونكر
٢ ـ المقصود به : طبيعته ونفسه
٣ ـ المقصود به : أى أن نفسه تتوقع أن ترى واقعية الصدام الآن

بعيد مشروع ؛ وهو أن يوسع أملاكه بشـراء الاراضـى المتاخمة لها ؛ فسأله كولهاس ، بعد أن اتخذ لنفسه مقعداً، ما الذى يريد أن يدفعه من أجل أملاكه فى براندنبورج وفى سكسونيا من بيت وضيعة برمتها بصفة نهائيـة أم لا[1] ، أمتقـع لون ليزبت زوجته عنـد سماع هـذه الكلمات ، فاستدارت ورفعت ابنها الاصـغر ، الذى كان يلعب عـلى الارض خلفها ، وألقت بنظرات ، مارة بخـدود غـلامها الوردية ، والذى كان يداعب عقودها ، يرتسـم المـوت فيها[2] ، الى تاجر الخيل ، والى ورقة كان هو ممسكا بهـا فى يده ، وسأله المأمور ، وهو ينظر اليه بعين الاستغراب ، عما حدا به فجأة الى هذا التفكير الغريب، فأجابه كولهاس، بأكبر قسط من الانشراح أمكنه أن يغتصبه من أعمـاق نفسه : أن فكرة بيع ضيعته على شواطىء الهافـل ليست

---

١ ـ محذوف : أم لايريد أن يدفع ، لانه عـدل عن رغبتـه السابقة .

٢ ـ المقصود به : من شدة الخوف عندما سمعت عزمه على بيع جزء من أملاكه .

جديدة قط، فقد سبق أن تفاوضا معا بشأنها كثيرا ؛ أما منزله فى ضاحية درسدن فهو بالنسبة للضيعة ، تابع لا أكثر ولا يستحق أن يتحدث عنه، وبأيجاز قال له بأنه اذا حقق له رغبته وابتاع قطعتى الارض، فأنه على استعداد لامضاء العقد الخاص بذلك معه ، ثم استطرد يقول ، فى مداعبة متكلفة ؛ بأن كولهازنبروك ليست هى الدنيا بأسرها ، فقد تكون هناك أهداف تسمو على حياته كأب صالح ؛ بل تتضاءل أمامها هذه الحياة ؛ او قد تكون لا كرامة لها، اذا وقفت فى طريق هذه الاهداف ، وقصارى القول ؛ لا بد أن يقول له ، بأن نفسه مقبلة على أحداث خطيرة ؛ ربما يسمع عنها وشيكا ؛ وكانت هذه العبارة باعثة على الاطمئنان فى نفس المأمور ، فقال للزوجة مازحا ؛ والتى كانت تقبل طفلها المرة بعد المرة ، بأنه يأمل أن زوجها لن يطلب الدفع فورا، ثم ألقى بقبعته وعصاه اللتين كان ممسكا بهما بين ركبتيه على المائدة. وتناول الورقة التى كان تاجر الخيل ممسكا بها بيده ليقرأها ، ودنا منه كولهاس وقال له ، بأنها عقد شراء حرره ، قد يصلح لذلك ، يبطل مفعوله

بعد أربعة أسابيع . وبين له أنه لا ينقصـه الا التوقيـع وتدوين المبلغين : وهما ثمن الشراء وثمن التراجع ، وهذا يعنى المبلغ الذى يتعهد المأمور بدفعه فى حالة عدوله عـن الشراء فى غضون الاسابيع الاربعة ، كما طلب فى صراحة، أن يتقدم عرضا . مؤكدا له أنه سيكون رخيصا فى الثمن ، وأنه لن يثير له متاعب، وكانت الزوجة فى هذه الاثناء تروح وتغدو فى الغرفة فى حالة انفعال شديد ، حتى أن الطريحة التى كانت تسدلها على كتفيها ، والتى كان يداعب أطرافها أبنها ، كادت تنزلق من عليها، ثم قال المأمور بأنه لا يستطيع أن يقدر قيمة ملكه بدرسدن ؛ فأجاب كولهاس وهو يدفع اليه بالخطابات التى تبودلت أثناء عملية الشراء، بأنه يقدره، بـ ١٠٠ جولد جيلدن مع أن الخطابات تبين أنه دفع هـذا القدر مرة ونصفا ، وقرأ المأمور العقد مـرة ثانية ورأى بنفسه أن حرية الرجوع فى الصفقة ثابتة فى العقد بطريقـة فريدة ، فقال : وهو يكاد يكون معتزما أتمام الصـفقة ، بأنه فى غير حاجة الى خيول الانتاج الموجودة فى الحظائر، فلما قال له كولهاس بأنه هو أيضا لا يريد أن يتخلص من

خيوله ، كما أنه يريد أن يحتفظ أيضا ببعض السلاح المعلق في غرفة التسلح ، تلكأ المأمور ثم تلكأ وأخيرا أعاد عرضا، سبق له أن عرضه عليه منذ أمد قصير ما بين الجد والهزل خلال رياضة لهما، دنيئا بالنسبة لقيمة الاملاك ، «عند ذلك دفع كولهاس أليه بالمحبرة والقلم ليكتب ، غير أن المأمور لم يصدق حواسه ، وسأله ثانية ، عما اذا كان هـو جادا في ذلك ، فرد عليه تاجر الخيل متكدرا قليلا ، عما اذا كان يظن أنه لا يتداول معه الا المزاح، فتناول الآخر القلم، ولو أن طابع التفكير كان لا يزال باديا على وجهه ، وكتب ، ألا أنه شطب البند الذى يتحدث عن التعويض ، متعهـدا بتقديم سلفية له قدرها ١٠٠جولد جيلدن مقابل رهن يقيمه على قطعة الارض التى بدرسدن ، والتى لم يشأ بأى حال من الاحوال ، أن تكون قابلة للشراء منه ، كمـا أعطـاه مطلق الحرية في أن ينسحب من هذه الصفقة في غضـون شهرين ، وقد تأثر تاجر الخيل من أعماق نفسه من هـذا العمل ، فمد اليه يده محييا ومقدرا ، ثم اتفـق معـه على شرط أساسى آخر ، وهو أن يدفع ربع ثمن الشراء نقـدا

وفورا، ويدفع باقى الثمن بعد ثلاثةأشهر فى بنك هامبورج
ثم طلب تاجر الخيل بعد ذلك نبيذا ، ليحيى صـفقة تمت
بنجاح ، وقال للخادمة التى دخلت بزجاجات النبيـذ ، أن
تخبر الخادم شترنبـالد أن يطهم الجواد الثعلب ، حيث أنه
مضطر أن يذهب الى العاصمة لاعداد بعض الامور ، وألمح
بأنه سيعود بعد فترة وجيزة وأذ ذاك سيبوح له بصراحة،
بما هو مضطر الآن أن يحتفظ به لنفسه ، ثم سأل ضـيفه
وهو يملأ الكؤوس عن البولندى والتركى اللذين تشاحنا
فى ذاك الوقت فى جدل سياسى ، وجره بذلك الى التصريح
بآرائه السياسية فى هذا الموضوع ، ثم شرب فى النهايـة
مرة أخرى نخب ازدهار صفقتهما ، وسـمح له بعـد ذلك
بالانصراف ، وبعد أن غادر المأمور الغرفة، جثت ليزبت
على ركبتيها ونادته «اذا كنت لا زلت تحملنى ، تحملنى ،
أنا وأطفالى الذين انجبتهم لك ، فى قلبك ـ اللهم الا اذا كان تم مقدما وكنا
لسبب ما لا أعرفه قد انتزعنا منه ، فخبرنى ما معنى هـذه
الاجراءات المريعة» فقال كولهاس «زوجتى العزيـزة ، لا
يمكن لشىء أن يثير عدم اطمئنانك كالموقف القائم الآن ،
لقد وصلنى قرار يقال لى فيه أن شكواى ضد اليونكـر

فنتسيل فون ترونكا ، هى مشاكسات عديمة الجـدوى ، ولما كنت أوقن أن لابد أن يكون هناك سوء تفاهم قائما، فقد اعتزمت أن أقدم شكواى مرة اخرى الى سيد البلاد شخصيا فقالت له ، وقد قامت واقفة تغمــرها ظاهرة مــن البـلبـلة ، « لـم تريـد أن تبيـع منـزلـك ؟ » فضمها تاجر الخيل بحنان الى صدره وقال لهـا «لانى لا أود يا عـزيزتى ، أن أبقـى فى بلـد لا يريـد يحمينى فى حقوقى ، وانى لافضل أن أكون كلبا ، اذا كان لابد مـن أن أداس بالاقدام ، عن أن أكون أنسانا ، وانى لواثق من أن زوجتى تشاركنى هذا الرأى فى هذا » ــ فسألته بلين «ومن أين تعلم أنك لن تحمى فى حقوقك ؟ » ، فأذا تقدمت الى الامير بالتماسك فى تواضـع ، كما يجب عليك ، فأنى لك أن تعرف أن التماسك سيلقى به جانبا ، أو أنه سيجاب برفض الاستماع اليك ؟ » ــ فقال كولهاس « حسنا، اذا اتضح انخوفى فى هذا لا أساس له ، فأن البيت أيضا لم يبع بعد ، أنا أعلم أن الامير فى حد ذاته عادل ، فأذا وقفت فى اختراق بطانته ووصلت الى شخصه ، فأنى لا أشك فى

أنى سأنال حقى وأعود منشرح الصدر اليك والى عملى العادى ، قبل أن ينقضى الاسبوع» ثم استطرد يقول وهو يقبلها « وفى هذه الحالة أود أن أبقى الى جانبك حتى آخر حياتى » ـ غير أنه عاد واستأنف حديثه فقال «غير أنى أرى من حصافة الرأى أن اكون على أى حال متأهبا للطوارىء ، ولذا فانى أود لو أمكن أن تبتعدى بعض الوقت عن هنا ، فتذهبين صحبة الاولاد لعمتك بشفيرين ، فضلا عن أنك كنت تودين من مدة زيارتهما » فنادت والفزع يكاد يخنق كلامها « ماذا؟ يجب أن اذهب الى شفيرين؟ عبر الحدود مع الاولاد لعمتى بشفيرين؟» ـ فقال كولهاس «نعم هو هذا ، وأن أمكن ، فى الحال حتى أبدأ طريقى فى أجراءاتى التى أريد أن أتخذها فى موضوعى من غير أن يعوقنى أمر لابد لى أن أراعيه » ـ فقالت له «الآن فهمتك ، أنك لا تحتاج الآن الا سلاحا وخيلا ، وما عدا ذلك فيستطيع أن يأخذه كل من يرغب» ثم أشاحت بوجهها وارتمت على مقعد كبير وبكت ، ـ فقال لها كولهاس فى بلبلة « عزيزتى ليزبيت، ما هذا الذى تعملينه؟

لقد منحنى الله نعمة الزوجة والاولاد والاملاك ، أتريدين أن أتمنى اليوم لاول مرة ، لو أن الحال كان غير ذلك؟» — ثم جلس بحنان الى جانبها وتأثرت هى من عبارته فاحمر وجهها ثم ارتمت اليه وأخذت تعانقه ، فقال لها ، وهو يمر بيده فى حنان على خصلات شعرها المتهدلة على جبينها ، «خبرينى، ما الذى يجب على أن أعمله ؟ هل أتنازل عن شكواى؟ هل أتوجه الى ترونكنبورج وأتوسل الى الفارس النبيل أن يرد الى خيلى ثم أمتطيها وأعود بها اليك ؟» — لم تجرؤ ليزبت على أن تقول : نعم ، نعم ، فهزت رأسها وهى تبكى ، ثم ضمته أليها بشدة وأمطرت صدره بوابل من قبلات حارة ، فقال لها « أذا كنت تشعرين بأنى يجب أن أنصف ويعترف بحقى اذا كنت سأستمر فى ممارسة مهنتى ، أذن تمنى لى أيضا الحرية الضرورية لى ، أن أحصل عليها لنفسى » ، وقام بعد ذلك وقال للخادم، الذى جاء لينبؤه بأن الجواد الثعلب قد طهم، بأن تطهم غدا أيضا الخيل البنية لاجل أن تنقل زوجته الى شفيرين ، قالت ليزبت بأن جاءتها فكرة طارئة ، ثم قامت واقفة ومسحت

دموعها من عينيها ، وسألته وقد جلس الى مكتب ، عمـا اذا كان يوافق على أن يعطيها الالتماس ويدعها تسافر الى برلين بدلا عنه ، لتقدمه هى لسيد البلاد، ولما كان كولهاس قد تأثر نفسيا من هذا التغير فى الموقف لاكثر من سبب ، فقد قال لها ، وقد جذبها وأقعدها على حجره : «زوجتى المحبوبة ، هذا يكاد يكون مستحيلا لان أمير البلاد محاط بأكثر من سياج من بطانته ، وكل من يحاول أن يقترب منـه معرض لمضايقات عدة » فأجابت ليزبت بأنه قد تستطيع ألف امرأة أن تقترب منه ، قبل أن يستطيع رجل واحد ذلك، ثم عادت فقالت «أعطنى الالتماس ، واذا كنت لا ترغب ألا أن تطمئن على أن يصل الالتماس الى يده ، فأنى أتعهد لك بأنه سيتسلمه»، ألا أن كولهاس، بالرغم من أنه قدسبق أن لمس أكثر من مرة شجاعتها وذكاءها، فقد سألها، كيف تفكر فى تنفيذ ذلك، فردت عليه ، وقد مسها نوع من الخجـل فانكمشت بنظرتها الى الارض ، وقالت بأن أمين قصر الامير الناخب فيما مضى، أيام أن كان يخدم بشفيرين ، كان قد تقدم لخطوبتها ، ولو أنه الآن متزوج وله عدة أولاد ، الا

أنه لم ينسها بعد ، ـ ثم طلبت منه بأيجاز أن يترك الامر لها ، وسيعود عليه ذلك بالفائدة ، وأن لا داعى لاستدرار التفصيل فى ذاك الموضوع لاعتبارات عدة، فقبلها كولهاس بفرح شديد وقال لها ، بأنه يوافق على اقتراحها ، وأفهمها أن الامر لايحتاج الى أكثر من أن تقيم لدى زوجته ، لكى تستطيع أن تقابل أمير البلاد داخل القصر نفسه ، ثم ناولها الالتماس وأمر بأعداد الجياد الداكنة ، وبعث بها محملة بالزاد الطيب مع خادمه المخلص شترنبالد ، ألا أن هـذه الرحلة كانت أكثر نحسا من جميع الخطوات الفاشلة التى حاولها فى قضيته ، أذ أنه لم تمض أيام قلائل ، حتى عـاد شترنبالد يزحف بالمركبة فى حركة وئيدة الى داخل فنـاء المزرعة ، وكانت تحمل الزوجة وهى مسـتلقية وممـددة بداخلها ، وقد أصيبت برض خطير فى صـدرها : تقـدم كولهاس نحو المركبة وقد امتقع لونه ، الا أنه لم يستطع أن يحصل على باعث له كيـانه ، يكون هو السبب فى هـذا الحادث ، وانطلق الخادم يقول بأن أمين القصر لم يكـن موجودا بمنزله ، مما اضطر الانسان الى أن ينزل بفندق

قريب من القصر ، وفى صباح اليوم التـالى تركت ليزبت الفندق بعد أن أمرته بأن يبقى الى جانب الخيل ، ولم تعد الا فى المساء فى هذه الحالة ، ويلوح أنهـا حاولت فى جرأة أن تتقدم الى شخصية الامير ، فأصيبت بوخزة ساق رمح من أحد الحراس المحيطين به ، فى غمرة خشونة اخلاصه فى تأدية عمله ، ولا ذنب للامير فى ذلك ، وعلى أى حـال فهذا ما رواه الناس الذين أتوا بها حوالى الغروب فاقدة الوعى الى الفندق ، لانها هى لم تكن تستطيع أن تتكلم الا قليلا بسبب الدم الذى كان يتدفق من فمها ، وقد أخذ الالتماس منها فيما بعدأحد الفرسان النبلاء، وقالشترنبالد بأنه كان يرغب أن يمتطى جوادا فورا ويأتى ليبلغه بهـذا الحادث المؤلم ، الا أنها صممت ، رغم اعتراضات الجراح الذى دعى لاسعافها، على أن تحمل اليه فى كولهازنبروك من غير أن يبلغ ذلك قبلا، وحملها كولهاس الى الفـراش وقد عادت من الرحلة محطمة الى أقصى حد ، وكانت تعانى آلاما مبرحة عندما كانت تجهد نفسها فى التنفس ، وبقيت عدة أيام على قيد الحياة ، وقد حوول سدى أن يعاد اليها

رشدها، بأمل الحصول منها على معلومات ، يستطاع منها أن يعرف حقيقة ما وقع، ولكنها كانت منطرحة على الفراش بعين متصلبة ذابلة لا تجيب ، ولم يعد اليها وعيها الاقرب وفاتها ، وكان قس من العقيدة اللوثرية ـ التى كانت فى ذاك الوقت فى طور نشأتها ، وكانت هى قد أعتنقتها مقتفية فى ذلك أثر زوجها ـ واقفا الى جانب فراشها ، يقرأ لها بصوت جهورى ذى صبغة كنسية مؤثرة، فصلا من الكتاب المقدس ، وعلى حين غرة أحدقت فيه بطابع طافح بالتشاؤم، وأخذت الكتاب من يده، كمن تقول له بأن ليس فى الكتاب ما يقرأ لها، ثم أخذت تقلب ثم تقلب فى صفحاته، ووضح أنها كانت تبحث عن شيء خاص به [1] ، ثم أشارت لكولهاس ، الذى كان جالسا على فراشها ، بسبابتها الى الآية «أحبوا أعداءكم وأحسنوا الى مبغضيكم» ـ وكانت تضغط على يده وقتئذ ، وهى تلقى أليه بنظرة ، أودعت فيها كل حبها وأخلاصها ، ثم ماتت ، ـ فقال كولهاس يخاطب نفسه «فليحرمنى الله من غفرانه ، أذا أنا غفرت لليونكر ما فعله»

---

١ ـ تعنى بذلك : زوجها

وقبلها والدموع تتدفق بكثرة من عينيه ، ثم أغلق عينيها
وترك المخدع ، أخذ المائةجولد جيلدن التى كان المأمور
قد أعدها له من أجل الحظائر فى درسدن ، وأعد لها جنازة
اقرب ما تكون مهيأة لاميرة، عن أن تكون مهيــأة لها :
تابوتا من خشب السنديان مبطنا بمعدن سميك ، وسادات
من الحرير تتدلى منها ضفائر مجدولة من الذهب والفضة،
وقبرا عمقه ثمانية أذرع مكسوا بالاحجار الصلدة والجير،
وكان واقفا بنفسه حاملا أبنه الاصغر على ذراعه ، يرقب
العمل وهو يجرى فى قبو القبر ، ولما حل يوم الدفن كانت
الجثة موضوعة ، بيضاء فى لون الجليد ، فى بهــو غطيت
جوانبه بالنسيج الاسود ، لم يكد القس ينتهى من خطبته
التى كانت مؤثرة ، على محفتها ، حتى سلم الى كولهاس
قرار الامير على التماسه الذى قدمته اليه زوجته الراحلة،
وهذا فحواه : يجب أن يأخذ خيله من ترونكنبــورج ،
وسيعاقب بزجه فى السجن ، اذا عاد الى شــكواه ، دس
كولهاس الخطاب فى جيبه وأمر أن يحمل التــابوت الى
المركبة، وبمجرد أن أقيمت مصطبة القبر وثبت الصليب من

فوقها وانصرف المشيعون ، ارتمى كولهاس مرة أخرى أمام
فراشها الذى أصبح الآن قفرا ، وحمل على عاتقـه مهمـة
الاخذ بالثأر، وجلس ودون خطابا بقرار بحقه الى اليونكر
فنتسيل فون ترونكا ، يقول له فيه ، بأنه حكم عليه ، بماله
من قوةوراثية ، أن يأتى اليه بخيله السوداء ، التى أخذها
منه وأنهكها فى مزارعه ، الى حظائره بكولهازنبـروك فى
غضون ثلاثة أيام من وصول خطابه اليه ، وأن يعلفها بنفسه
فى حظائره الى أن تسمن ، بعث كولهاس هذا القـــرار
برسول راكب وأفهمه أن يعود اليه فى سرعة الطير ، بعد
تسليمه الرسالة ، الى كولهازنبروك ، فلما انقضت الايام
الثلاثة من غير أن ترد اليه خيله ، نادى هرزه وكشف لـه
عما بعث به الى اليونكر من وجوب أطعامه للخيـل حتى
تسمن ، ثم سأله فى أمرين ، عما اذا كان يـود أن يركب
ويرافقه الى ترونكنبورج وأحضار اليونكر ، وأيضا ، عما
أذا كان مستعدا لان ينهال عليه ضربا بالسوط ، اذا تراخى
فى تنفيذ قرار تأدية الحق فى حظائر كولهازنبروك ، ولـم
يكد هرزه يستوعب ما قالهسيده حتى صاح مهللا «وليكن

هذا اليوم يا سيدى» وقذف بقبعته الى أعلا ، وهو يؤكد له أنه سيدعهم يعدون له شريحة من الجلد بعشر عقد مجدولة فى صلبها ليعلمه الفرجنة [1] ، وعلى ذلك باع كولهاس البيت وحشر أولاده فى مركبة وبعث بهم عبر الحدود ، ثم جمع أيضا عند حلول الليل باقى خدمه، وكان عددهم سبعة ، مخلصين له ، كل منهم الى آخر قطرة من دمائه ، ثم جهزهم بالسلاح وأركبهم الجياد ، وانطلق الى ترونكنبورج ، أنقض، أيضا بهذا النفر القليل ، راكبا ، عند حلول الليلة الثالثة ، على حارس الباب ، وجابى المكوس ، اللذين كانا واقفين تحت قبو البوابة يتحادثان، ثم اقتحم كولهاس الحصن ، وفى الوقت الذى أشعل فيه رجاله النيران فى الثكنات القائمة فى فناء القصر ، والتى لم تلبث أن تداعت وانهارت ، هرع هرزه يرتقى السلم الحلزونى الى برج مبنى أمانة القصر ، وانقض على أمين القصر والمشرف اللذين كانا جالسين يلعبان ، وقد خلعا ثيابهما الى النصف ، وأعمل فيهما ضربا وطعنا ، واندفع

---

١ ـ تمشيط الخيل

كولهاس الى القصر باحثا عن اليونكر فنتسيل ، كما يهبط ملاك القضاء من السماء ، كان اليونكر آنئذ يقرأ على لفيف من أصدقائه، الذين كانوا معه، وسط عاصفة من الضحك، قرار تأدية الحق الذى فرضه عليه تاجر الخيل ، لما سمع فجأة صوته ينبعث داخل فناء القصر ، فغمرت وجهه صفرة أشبه بصفرة الاموات، فصرخ «أخوانى، أنقذوا أنفسكم» ثم اختفى ، ولما اندفع كولهاس الى داخل البهو تصدى له اليونكر هانز فون ترونكا ، فقبض عليه من صدره، وطوح به الى ركن البهو وتناثر مخه على الجدران ، وتغلب خدمه على الفرسان الآخرين الذين التجأوا الى سلاحهم، وشتتوا شملهم ، لما سأل كولهاس : أين اليونكر فنتسيل فون ترونكا ، ولما لم يفز من هؤلاء الرجال الذين كانوا فاقدى الوعى ، دفع بابين بساقيه يؤديان الى رواقين يقودان الى الجناح الجانبى للقصر ، ثم اندفع الى كل النواحى ، ذارعا هذا البناء المترامى الاطراف ، ولما لم يعثر على أحد ، هبط الى فناء القصر ، وهو يستوحى اللعنات ، ليسد منافذ القصر، وفى تلك الاثناء كانت النيران قد انتقلت من الثكنات

المحترقة الى القصر وكل مبانيه الجانبية ، وأخذت تبعث بسحب كثيفة من الدخان الى قبـة السماء ، وبينما كان شترنبالد مع ثلاثة خدم نشطين يحملون كل ما أمكن حمله من محتويات القصر كغنيمة طيبة ، ويلقون بها بين الجياد، كانت جثث أمين القصر ومدير شئونه وزوجتيهما وأولادهما يقذف بها من نوافذ مبنى أمانة القصر المفتوحة ، بين تهاليل هرزه ، وأثناء هبوط كولهاس درج السلم التقى بالعجوز المشرفة على القصر المصابة بداء النقرس ، التى كانت تسهر على خدمة اليونكر، فارتمت تحت أقدامه، فوقف على درج السلم وسألها : أين اليونكر فنتسيل فون ترونكا ؟ فلما أجابته بصوت ضعيف مرتعش ، بأنها تعتقد أنه هرب الى الكنيسة ، نادى كولهاس أثنين من خدمه يحملان المشاعل وأمرهما بأن يفتحا الباب بالقضبان الكاسرة والبلط لعدم وجود المفاتيح ؛ ثم قلب كولهاس المذابح والمقاعد ، غير أنه لالمه الذريع لم يجد اليونكـر ، وتصـادف أن رأى كولهاس لحظة عودته من الكنيسة خادما شابا من حاشية خدم ترونكنبورج ، يهرع الى حظيرة متسعة مبنية من الحجر

تهددها النيران، ليخرج منها جياد العراك الخاصة باليونكر، وفى تلك اللحظة شاهد كولهاس جواديه الاسـودين فى حظيرة صغيرة مغطاة بالقش فسأل الخـادم : لم لا ينقـذ الجوادين ، فلما أجابه ، وهو يضع المفتاح فى باب الحظيرة الاخرى ، بأن النار قد انتهت وشبت فى حظيرة الجوادين الاسودين ، وعند ذلك انتزع كولهاس المفتاح بعنف من باب الحظيرة ، وألقى به الى ما فوق الجدار ، ثم دفـع الخادم بضربات متلاحقة بعرض سيفه، وأجبره على دخول الحظيرة المندلعة النيران فيها وسط ضحك الواقفين المؤلم لينقذ الجوادين الاسودين ، غير أن الخـادم الذى كان ممتقع اللون عندما خرج بالخيل ، والتى كان ممسكا بها بيده ، للحظات قلائل من الحظيرة ، قبل أن تنهار من خلفه، لم يجد اذ ذاك كولهاس ، فلما اتجه الى الخـدم بساحـة القصـر وكان كولهـاس بينهـم ، أدار هـذا ظهـره له أكثر من مرة ، فسأله الخادم : ما الذى يعمله بهـذه الحيوانات ، وعند ذلك فجأة طوح كولهاس بقدمه فى حركة عنيفة ، حتى أنه لو أن ضربة قدمه أصابت الخادم ، لكانت

قضت عليه ، ثم امتطى كولهاس جواده البنى من غير أن يرد عليه ، واتخذ لنفسه مكانا تحت بوابة الحصن ، وبقى فى عناد صامتا ، ينتظر حلول النهار ، أما رجاله فقد استمروا فى المكان بدافع سليقتهم ، فلما أقبل الصباح كان القصر قد أحترق عن آخره ، ولم تبق منه الا الجدران ، ولم يكن بداخله الا كولهاس وخدامه السبعة، نزل كولهاس من صهوة جواده وفتش جميع أركان المكان مرة أخرى فى ضوء الشمس ، التى كانت الاركان أذذاك واضحة جلية فى ضوئها ولما رأى ــ وقد حز ذلك للغاية فى نفسه ــ أن حملته على الحصن باءت بالفشل ، بعث بهرزه يرافقه بعض الخدم ــ وصدره يتأجج ألما وحزنا ــ ليتنسم الخبر عن الجهة التى قصدها اليونكر فى هروبه ، وقد أثار القلق فى نفسه بصفة خاصة ، دير غنى للعذارى ، يسمى ارلابرون واقع على شواطىء المولدا ، كانت رئيستة انتونيا فون ترونكا معروفة فى المنطقة كامرأة تقية محبة للخير مقدسة ، ولاح لكولهاس السيء الحظ أن المرجح أن يكون اليونكر قد هرب بشخصه كما كان، مجردا من أقل ضروريات الحياة[1] ،

---

١ ــ المقصود به هنا : يكاد يكون عاريا .

الى هذا الدير الذى كانت فيه هذه الرئيسة التى هى عمته لابيه ومربيته فى مرحلة طفولته الاولى ، وبعـــد أن عالج كولهاس هذا الظرف فى نفسه ، صعد الى برج مبنى أمانة القصر الذى كانت به غرفة لا زالت تصلح للاقامة فيها ، ثم هيأ ودون ما أسماه «المنشـــور الكولهـــازى» والذى يطلب فيه من البلاد ، ان لا تسند اليونكر فنتسيل فـــون ترونكا ، الذى هو الآن فى حرب معه لها ما يبررها ، بل على النقيض يحتم على كل مواطن ـــ ولا يستثنى من ذلك أقاربه وأصـــدقاءه ، متوعدا بالعقاب البدنى وبالاعـــدام وبضرورة أحراق كل ما يكون ملكا له ـــ أن يسلمه اليه ، وزع كولهاس هذا المنشور بواسطة المسافرين والغرباء فى المنطقة ، وأعطى فالدمان خادمه صورة منه بتلكيف معين ، وهو أن يسلمه الى السيدة انتونيا فى أرلابرون ، وبعد ذلك أغرى كولهاس بضعة من خدم ترونكنبورج ، الذين كانوا غير راضين عن اليونكر ،واستهواهم امكان حصولهم على نصيب من الغنيمة ، فى الالتحاق بخدمته ، ثم سلحهم على

طريقة المشاة بأسلحة قاذفة قوسية سهامية وخناجر، وعلمهم أن يركبوا خلف خدمه الراكب، وبعد أن حول كل ما جمعته حاشيته الى نقود ، ووزع هذا المال بينهم ، استرخى لبضع ساعات تحت قبو البوابة ليستريح قليلا من أعماله المنكودة

حوالى الظهر عاد هرزه وأكد لكولهاس ما قاله لـه قلبه ، وهو يتوقع دائما أسوأ الامور ، وذلك بأن اليونكر موجود بالدير بأرلابرون عند السيدة العجوز أنتونيا فون ترونكا عمته ، واتضح أنه أنقذ نفســه عن طـريق باب فى الجدار الخلفى للقصر يؤدى الى الخارج ، ثم الى ســلم حجرى ضيق يغطيه سقف صغير يهبط الى عدة زوارق بنهر الالب ، ثم استطرد هرزه يقول بأنه وصل حوالى منتصف الليل الى أحدى قرى الالب فى زورق صغير خال من دفة ومجداف ، وأثار قدومه دهشة الناس الذين كانوا متجمعين يتحدثون عن حريق ترونكنبورج ، ومن هناك واصل سفره الى أرلابرون على مركبة نقل ريفية، ـ تنهد كولهاس تنهدا عميقا عند سماعه للخبر ثم سأل ، عما اذا كانت الخيل قـد أكليت ، فلما قيل له نعم ، أمر رجاله بأن يعتلوا جيادهم ،

وبعد ثلاث ساعات كان كولهاس أمام أبواب أرلابرون ، ووسط دوى عاصفة رعدية بعيدة فى الافق ، دخل كولهاس برجاله ، حاملا مشعله الذى كان قد أضاءه عنـــد مشارف القرية ، فناء الدير ، وأقبل عليه فالدمان الخادم ينبؤه بأن المنشور قد سلم طبقا لامره تماما ، عندما رأى رئيسة الدير وأمينه يتبادلان حديثا مضطربا تحت سقيفة باب الدير ، وفى الوقت الذى كان فيه أمين الدير ــ وهو رجل قصير القامة مسن يكسو رأسه بياض ناصع كالجليد ــ يلقى بنظرات حاقدة الى كولهاس ، عمد الى ارتداء عدة القتال ، ثم نادى الخدم ، الذين كانوا أذ ذاك يحيطون به ، فى صوت متبجح أن يدقوا ناقوس الخطر ، أقبلت سيدة الديــر تهبط درج السلم ، حاملة فى يدها التمثال الفضى للمسيح ، شــاحبة كلون الكتان ، ثم ألقت بنفسها وبكل العذارى تحت حوافر جواد كولهاس ، فسألها ، فى الوقت الذى تغلب فيه هرزه وشترنبالد على أمين الدير ، الذى لم يكن يحمل أذ ذاك سيفا فى يده ، ودفعا به كأسير الى ما بين الجيــاد ، سألها ، أين اليونكر فنتسيل فون ترونكا ، فأجابته وهى تخلــع حلقة تضم مفاتيح من نطاقها « انه فى فيتنبرج ، كولهــاس

أيها الرجل المهاب !» ، ثم أردفت تقول له فى صوت مرتعش « أخش الله ولا تظلم أحدا !» ـ واستدار كولهاس بجواده، وقد استبد به من جديد غضب شديد لعجزه عن الانتقام ، وكان على وشك ان ينادى «أشعلوا النيران» حين سقطت صاعقة رهيبة على قيد خطوات منه، فعاد كولهاس واستدار بفرسه اليها وسألها ، عما اذا كانت قد تسلمت منشوره ، فأجابته بصوت ضعيف يكاد لا يسمع «فقط الآن» ـ فقال «تقولين متى ؟» فقالت «يشهد الله بعد ساعتين من رحيل اليونكر ابن أخى نهائيا ! » ـ وأمن الخادم فالدمان وهو يتلعثم على قولها ، وكان كولهاس يلقى اليه بنظرات يتطاير منها الشرر ، وقال الخادم بأن مياه المولـدا ارتفعت بسبب الامطار ، فأعاقه ذلك عن الوصـول قبل الآن ، اسـتعاد كولهاس هدوءه ؛ وفجأة اندفعت الامطار تهطل مدرارا ، وأطفأت المشاعل وهى تتساقط بخريرها على بلاط المكان، وخففذلكالالم فى نفس كولهاس المكتئبةواستدار بجواده ورفع قبعته للسيدة رفعة عابرة وهو يصيح فى لحظة ما همز جواده «اتبعونى يا أخوانى ، اليونكر فى فيتنبرج» وترك الديـر

فلما أقبل الليل انعطف على نزل فى الطريق الزراعــى حيث رأى أنه يجب عليه أن يستريح يوما لان الجياد كان قد أنهكها التعب ، فضلا عن أنه ، لمــا رأى أنه لن يستطيع أن يقتحم بلدة كفيتنبرج بعشرة رجال ــ لان هــذه أصبحت قوته الآن ــ كتب منشورا آخر ، روى فيه بأيجاز ما لاقاه فى انبلاد ، ثم طلب من «كل مسيحى صالح ــ على حــد تعبيره ــ أن يهب لمساعدته فى نضاله ضد اليونكر فــون ترونكا، الذى هو العدو المشترك لجميع المسيحيين ، مغريا بالمال مقدما فى ندائه ، وبمزايا حربية أخرى» ، وفى منشور آخر ظهر سريعا عقب المنشور الثانى ، أطلق كولهاس على نفسه لقب «السيد المستقل عن الدولة وعن العالم ، والذى يخضع لله وحده » ولع من نوع مرضى مشوه ، أكسبه ، فى ظل رنين نقوده والامل فى الغنيمة ، أقبال رهط من حثالة الشعب ، الذين حرمهــم الصلح مع بولونيــا قوتهــم [1] ، بحيث أصبح يستحوذ فى الواقع على نيف وثلاثين رجلا ، عندما ارتد الى فيتنبرج على الجانب الايمن للالب لاحراقها،

١ ــ المقصود به : سبل التعيش ، لان الكثــير منهم كان يلتحق بالجيوش المحاربة مقابل اجر ، ولذا كان يطلق عليها «الجنود المرتزقة» وهذا كان شائعا فى تلك العصور.

وعسكر كولهاس بخيله وأتباعه تحت سقف شونة متهدمة من الطوب الاحمر فى وحشة غابة مظلمـة ، وكانت تحيط بذلك المكان فى ذاك الحين ، وبمجرد أن عرف كولهاس من شترنبالد ، الذى سبق أن بعث به متنكرا حاملا منشوره الى المدينة ، بأن المنشور أصبح معروفا هنـاك بالذات ، حتى قام هو أيضا ورحل برجاله فى المساء المقدس قبل عيد العنصرة ، وأشعل النيران فى عدة أماكن فى المدينة فى وقت واحد ، والسكان غارقين فى نومهم ، وخلال ذلك وفى الوقت الذى كان رجاله ينهبون فيه ضاحية المدينة ، ألصق منشورا على عامود باب احدى الكنائس يقول فيه: أنه كولهاس، قد أشعل النيران فى المدينة ، أنه اذا لم يسلم اليـه اليونكر ، فسيمعن فى أحراقها ــ أو كما عبر هو بنفسه ــ الى حد أن لا يبقى فيها جدار واحد قائم ، قد يحمله على أن يستمر فى بحثه ، عسى أن يعثر عليه مختبئا خلفه ، وكان الرعب الذى استولى على السكان ، من جراء هذا الاستهتار الذى لا مثيل له، يفوق حد الوصف ، وأن النيران التى لم تقض ــ خلال ليلة من حسن الحظ ، أنهـا كانت ليلة صيف هادئة ــ الا على تسعة عشر منزلا ، من بينها كنيسة واحدة أيضا ، لم تهدأ

نوعا ما عند انبلاج الصباح ، عندما بعث رئيس المقاطعة
العجوز اوتوفونجورجاس ، فرقة مكونة من خمسين رجلا،
لاجل أن تلقى القبض على هذا السفاح المتوحش ، غير أن
قائد الفرقة ، الذى تولى توجيهها ويدعى جرستنبرج ،
أساء التصرف ، بحيث أن الحملة ضد كولهاس ، بدلا من
أن تسقطه ، ساعدت على ارتقائه أشد مدارج الشهرة
الحربية خطورة : أذ أنه قسم قوته الى عدة وحدات ، على
أمل كما اعتقد هو ، أن يحيط به ويقضى عليه ، غير أن
كولهاس احتفظ برجاله متماسكين وهجم بهم على تجمعات
عدوه المتفرقه ، وضربها الى حد أنه لم يبق منها فى مساء
اليوم التالى فى ميدان القتال رجل واحد يقف أمامه ، من
تلك القوة التى وضعت البلاد كل أملها فيها ، فقد كولهاس
فى هذا القتال بضعة من رجاله ، غير أنه فى صبيحة اليوم
التالى أشعل النيران من جديد فى المدينة ، وكانت اعداداته
الرهيبة متقنة ، بحيث أنها أطاحت بعدد كبير من المنازل ،
وبكل مخازن الضاحية تقريبا ، وحولتها كلها الى رماد ،
وخلال ذلك ألصق كولهاس المنشور السابق من جديد ،
وألصقه فى هذه المرة على أركان دار البلدية نفسها، وألحق

به نبــأ نهاية الكابتن جرستنبرج ، الذى لاقى حتفــه على يديه ، وكان قد أرسله رئيس المقاطعة ، أثار هذا التحدى غضب رئيس المقاطعة الى أقصى حد ، فوضع نفسه وبرفقته بضعة فرسان على رأس قوة مكونة من مائة وخمسين رجلا وأعطى اليونكر فنتسيل فون ترونكا ، بناء على التمــاس كتابى منه ، حرسا يحميه من تعدى الشعب عليــه ، الذى أراد أن يعرف أنه أبعد كلية عن المدينة ، ثم بعــد ان اقام رئيس المقاطعة حرسا فى جميع قرى المنطقة ، كما أقام نقط حراسة على سور المدينة لحمايتها من هجوم عليها ، زحف بنفسه فى يوم جرفازيوس المقدس ، لاجل أن يلقى القبض على هذا التنين ، الذى عاث فى البلاد فسادا ، ألا أن تاجر الخيل كان من الفطنة بحيث أنه تحاشى الالتحام به. ثم بعد أن اجتذبه بتحركات لبقة لمسافة خمســة أميــال خارج المدينة ، وبعد أن موه عليه بعدة عمليات ، توهم بأنهمدفوع الى عمل جنونى ليلقى بنفسه الى مقاطعــة براندنبورج ، تحت ضغط خوفه من قوة عدوه المتفوقة ، ارتد كولهــاس فجأة عند حلول الليلة الثالثة ، وعاد فى ركبة مجهــدة الى فيتنبرج ، وأشعل النيران فى المدينة للمرة الثالثة، أنه كان

هرزه الذى تنكر وتسلل الى قلب المدينة وارتكب هـذا العمل الشنيع ببراعة ، فأشعل النيران فيهـا وساعـد على اندلاعها وفظاعة تدميرها ، هبوب ريح شمالية عاصفة ، حتى أن النيران أتت فى غضون أقل من ثلاث ساعات ، على اثنين واربعين بيتا وكنيستين وعدة أديرة ومدارس ومبنى أدارة الاموال الاميرية نفسـه ، وحولتها كلهـا الى ركام ورماد ، وكان رئيس المقاطعة يعتقد عند حلول الصباح ، أن خصمه لابد أن يكون الآن قد اجتاز الحدود الى مقاطعة براندنبورج ، غير أنه حينما أبلغ بما وقع بالمدينـة ، هرع عائدا فى سير عاجل ، فوجدها فى ثورة شاملة ، والشـعب متجمع فى جموع تعد بالآلاف أمام بيت اليونكر ، الذى كان قد أحيط بالحواجز والدعائم ، يطالب فى صياح مـن مسه جنون ، أخراجه من المدينة ، وحاول عمدتان ، همـا ينكنس وأوتو اللذان كانا يرتديان زيهما الرسمى على رأس هيئة نواب المدينـة كلها ، وكانا موجودين ، سـدى ، أن يقنعـا الجموع بضرورة الانتظار الى حين عودة الرسول العاجل ، الذى ارسل الى رئيس مستشـارية الدولـة ، بالسماح بنقل اليونكر الى درسدن ، حيث يرغب هو نفسه

لبعض الاسباب ، أن ينقل الى هناك ، غير أن الجمـوع ، التيفقدت اتزانها، والتي كانت مسلحة بالرماح والقضبان، لم تعر هذا الكلام اعتبارا ، وكانت على وشك أن تقتحم البيت الذى كان اليونكر بداخله واقتلاعه من جـدرانه ، وذلك بالتعدى على بعض النواب ، الذين طالبوا باتخـاذ اجراءات مشددة ، عندما ظهر حاكم المقاطعـة أوتوفـون جورجاس على رأس فرقة فرسانه بالمدينة ، هـذا الرجـل المهاب الجانب ، الذى كان مجرد ظهوره يوحى الى الشعب بأجلاله وطاعته ، وكان قد وفق بالقرب من أبواب المدينـة فى القبض على ثلاثة مأجورين ، شتتوا من عصـابة هـذا السفاح مشعل النيران ، وكان ذلك الى حد ما ، تعويضـا له عن فشله فى مهمته التى عاد منها ، وفى أثناء ذلك وضعت الاغلال فى أيدى هؤلاء الجدعان أمام أعين الشعب ، وأكد لنواب المدينة فى خطاب بارع ، بأنه يأمل أن يأتى لهم عاجلا بكولهاس نفسه ، الذى يقتفى أثره الآن ، مكبلا ، وبذلك نجح حاكم المقاطعة ، بفضل تأثير هذه العوامل المهـدئة ، فى القضـاء على مخاوف الشعب المتجمـع ، وفى تسـكين ثائرته ، الى حد ما ، لوجود اليونكر بينه ، الى أن يعـود

الرسول السريع من درسدن ، نزل حاكم المقاطعة ولفيف
من فرسانه عن صهوة جيادهم ، ثم دخل البيت ، بعـد أن
أزيلت المتاريس والدعائم ، حيث وجد اليونكر الذى كانت
تتناوبه نوبات أغماء بين أيدى طبيبين ، اللذين كانايحاولان
اعادته الى الحياة الطبيعية بالروائح الكؤوليه والمنبهات ،
ولما كان الهر أوتو فون جورجاس يرى أناللحظة غير مناسبة
ليناقشه فى تصرفاته التى ارتكبهـا ، فانه اكتفى بأن قال له
بنظرة يكمن فيها احتقاره له ، بأن يرتدى ثيابه ويتبعـه ،
ضمانا لسلامته ، الى مخادع مقر اعتقال الفرسان النبلاء ،
وألبس اليونكر سترة وخوذة ، الا أنه لضيق تنفسه ترك
صدره عاريا جزئيا ، واستند الى ذراعى حاكم المقاطعـة ،
وصهره جراففون جرشاو، فلماظهرفى الشارع انبعثتلعنات
شنيعة عليه الى عنان السماء ، على ذلك الذى لا يـرعى
حرمة الله ، وكان الشعب ، الذى أبعده عنـه بكل جهـد
الجنود المرتزقة ، يصفه بمصاص الدماء ، ومصيبة شـؤم
على البلاد ، ومعذب الناس، ولعنة مدينة فيتنبرج، وخراب
سكسونيا ، وبعد مسيرة مشئـومة وسط المدينـة التى
أصبحت خرائب ، فقد اليونكر خوذته أكثر من مرة مـن

غير أن يشعر هو بذلك ، وكان يعيدها الى رأســه فى كل مرة، فارس يسير من خلفه، ووصل فى النهاية الى السجن، حيث اختفى داخل أحد أبراجه ، ووضع تحت حماية حرس قوى ، وفى خلال ذلك أثارت عودة الرسول العاجل بقرار الامير الناخب ، قلقا جديدا فى المدينة ، لان حكومة البلاد والتى تسلمت فى التو التماسا عاجلا من أهالى درسدن ، لا تريد أن تعرف شيئا عن وجود اليونكر فى العاصــمة ، قبل التغلب على السفاح ومشعل النيران، بل على النقيض، حملت حاكم المقاطعة واجب حماية اليونكر ، أينما يكون، أذ أنه لابد أن يكون فى مكان ما، بالقوة التى تحت سلطانه ومن ناحية أخرى، أبلغت الحكومةالمدينة الوادعة فيتنبرج، لتهدئة ثائرتها ، أن فرقة من الجيش ، قوامها خمسمائةرجل تحتقيادةالامير فريدريشفونمايسن،فىطريقها اليها لتحميها من أزعاج جديد من جانب كولهاس ، غير أن حاكم المقاطعة الذى رأى بجلاء أن مثل هذا القرار ، لن يستطيع بأىحال من الاحوال أن يهــدىء من روع الشعب ، اذ أن عـــدة انتصارات صغيرة أحرزها تاجر الخيل فى نقط مختلفة أمام أبواب المدينة ، أثارت أشاعات سيئة للغــاية عن مبلغ مــا

وصلت اليه قوته من النمو ، وأن الحرب المريعة ، والتى لا مثيل لها ، التى قادها فى ظلام الليل الحالك على يد الدهماء المتنكرة ، الحرب بالقار والقش والكبريت ، لتستطيع أن تقضى على كل حماية تسدى الى المدينة ، حتى ولو كانت من قوة ، تفوق تلك التى يزحف بها الامير فون مايسن ، — ولذا فأن حاكم المقاطعة قرر ، بعد تفكير وجيز ، أن يخفى القرار الذى تسلمه كلية ، واكتفى بأن علق الخطاب الذى ينبؤه الامير فون مايسن فيه بقدومه ، فى أركان المدينة ، وعند انبثاق الفجر ، خرجت مركبة مغطاة من ساحة سجن النبلاء ، يحيط بها أربعة فرسان مدججين بالسلاح ، الى الطريق المؤدى الى ليبزيج ، وقد أذاع الفرسان بطريقة مبهمة ، على ان المركبة متجهة الى قصر بلايسنبرج ، ولما هدأ الشعب من جراء ذلك ، عن اليونكر النحس ، الذى كان وجوده يهدد بالنار والسيف ، انطلق الحاكم بنفسه على رأس قوة قوامها ثلاثمائة رجل، لينضم الى الامير فريدريش فون مايسن ، غير أن قوة كولهاس كانت فى الواقع ، قد زادت فى تلك الاثناء ، من جراءمركزه الغريب الذى اتخذه لنفسه أمام العالم ، الى مائة وتسعة

رجل ، ولما كان كولهاس قد جمع سلاحا واختزنه فى يسين وسلح به رجاله الى أقصى حد ، ولما بلغ اليه نبأ العاصفة المزدوجة المقبلة عليه ، فقد عقد النية ، وعقدها بسرعة رياح العاصفة نفسها، على مواجهتها قبل أن تعصف هى به، وعلى ذلك فقد هجم فى اليوم التالى فى مفاجأة ليلية ، على الامير فون مايسن فى ميلبرج ، ولو أنه فقد فى هذا القتال ، لصدمته الشديدة، هرزه الذى سقط الى جانبه عندانطلاق الرصاصات الاولى ، الا أن فقدانه أثار فى نفسه مرارة الالم الشديد ، فقاتل الامير ثلاث ساعات كاملة وأنزل به أعنف الضربات ، بحيث أصبح عاجزا عن أن يلم شعثه فى تلك القرية ، حتى أذا أقبل الصباح كان قد أصيب بجراح عدة بليغة ، وسادت الفوضى جنوده مما اضطره ان يسلك طريق التقهقر الى درسدن ، وبعد أن أحرز كولهاس هذا الانتصار فى شبه مغامرة ، ارتد الى حاكم المقاطعة قبل أن يبلغه الخبر ، وانقض عليه فى رائعة الظهيرة عند قرية داميروف فى ساحة مكشوفة ، وقاتله الى أن هبط الليل ، ولو أنه أصيب بخسارة دموية فادحة ، الا أن رجحان كفة القتال كان سجالا ، وكان فى استطاعة كولهاس أن يهاجم

بلا شك فى صباح اليوم التالى ، بالجزء الباقى من جيشه ، الحاكم الذى كان آذ ذاك قد التجأ الى مقبرة داميروف ، لولا أن الحاكم علم من العيون باندحار الامير عند ميلبرج ، فرأى من الاصوب أن يتقهقر هو أيضا الى فيتنبرج ، الى أن تتاح له فرصة أحسن ، وبعد خمسة أيام مـــن تشتيت هذين الجيشين ، كان كولهاس على أبواب ليبزيج ، ثـــم أشعل النيران فيها من ثلاثة جوانب ، وأطلق على نفسه فى المنشور الذى أذاعه فى هذه المناسبة «حاكم الملاك ميشايل الذى جاء ليعاقب الذين يؤازرون اليونكر فى هـذا النزاع بالسيف والنار ، وليقضى على الخــداع الذى طغى عــلى العالم بأسره» ، وفى نفس الوقت وجه نداء الى الشعب ، من قصر ليتسن الذى استولى عليه واستقر به ، أن ينضم اليه لاقامة نظام أفضل للوضع القائم ، وكان المنشورممضى بنوع من الهوس : صدر من مقر حكومتنا العالمية المؤقتة فى قصر ليتسن العامر، وشاء حظ سكان ليبزيج أن لاتتسع رقعة النيران فيها ، فاستمر المطر يهطل من أطباق السماء، تسنده مراكز الأطفاء السريعة القائمة ، فلم تحترق الا بضعة حوانيت صغيرة حول قصر بلايسنبرج ، الا أن الفــزع ،

الذى أصاب المدينة بسبب حلول هذا السفاح مشعل النيران الثائر بين جدرانها ، وجنونه الذى كان يتملكه ؛ من أن اليونكر موجود بها ، يفوق حد الوصف ، ولما عادت الى المدينة فرقة ؛ كانت مكونة من مائة وثمانين محاربا، والتى كانت أرسلت لمقاتلته ، عادت مقطعة الاوصال ؛ لم يبق أمام بلدية المدينة ، حتى لا تتعرض ثروتها للخطر، الا أن تغلق منافذها تماما ، وأن يبقى المواطنون ليلا ونهارا ساهرين خارج أسوارها ، وحاولت البلدية عبثا ، بواسطة لصق بيانات فى قرى المنطقة المحيطة ، بالتأكيد المطلق أن اليونكر غير موجود ببلايسنبرج ، الا أن تاجر الخيل تمسك فى بيانات مشابهة ، أنه لا يزال موجودا بقصر بلايسنبرج ؛ وأوضح أنه حتى اذا كان غير موجود بها ، فأنه سيستمر على الاقل فى عمله ، كما لو كان اليونكر لايزال موجودا بها ، الى أن يذكر له المكان باسمه الموجود هو به ، فلما أبلغ الامير الناخب بواسطة رسول عاجل ، ان مدينة ليبزيج فى خطر ، أعلن أنه قد أعد جيشا مكونا من ألفى مقاتل ، وأنه سيضع نفسه على رأسه ليقبض على كولهاس بنفسه ، ثم بعث بلوم شديد للهر أوتوفون

جورجاس ، للخدعة الملتوية التى لم يفكر فى عواقبها ، التى لجأ اليها ، لاجل أن يتخلص من وجود السفاح مشعل النيران فى منطقة فيتنبرج ، ولم يستطع أحد أن يصف الاضطراب الذى تملك سكسونيا برمتها ، ولا سيما العاصمة ، حينما علم الناس أن منشورا ألصق على جدران القرى المجاورة لليبزيج ، ولا يعرف من قام بهذ العمل ، وأن البيان موجه الى كولهاس ويقول «فنتسيل اليونكر موجود عند ابنى عمه هنتز وكونتز فى درسدن»

وفى طى هذه الظروف ، تولى الدكتور مارتن لوتر على عاتقه مهمة اعادة كولهاس الى حظيرة المجتمع الانسانى بأن يوجه اليه بكلمة قوية ، توحى اليه بالركون الى الهدوء، يؤازره فى ذلك الاحترام الذى يتمتع به بفضل مكانته فى العالم ، فضلا عن اعتماده على عامل قوى يجول بخاطر السفاح مشعل النيران، فأصدر منشورا ألصق على جدران جميع مدن الامارة وبقاعها وهذا نصه: «كولهاس ! يا من تدعى أنك مبعوث لتدير سيف العدالة بيديك ، ما الذى تجترئه ؟ أيها العاتي ، الغارق فى جنون ! يامن يملأ الظلم كل جزء من أجزاء جسمه ، أمن أجل أن سيد البلاد الذى

أنت فرد من شعبه ، رفض حقا لك ، حقا من أجل متـاع تافه ، تثور بالنار والسيف ؟ أنت يا من يتنكر لله ، تنطلق كذئب الصحراء فى المجتمع الآمن الذى هو يحميه ! أنت يا من يضلل الناس بادعاءات ، لحمتها الافتراء والخديعة ، أتعتقد أيها المذنب ! أنك ، فى ذاك اليوم الذى سيضىء الله فيه طيات جميع القلوب ، ستغطى نفســك بذلك ؟ كيف تستطيع أن تقول، أنه تنكر لحقك، أنت يامن صدره الحقود يتعطش الى انتزاع الثأر الدنىء بنفسه، بعدفشل محاولاتك الاولى ، غير المتروى فيها ، تركت الجهد كلية للحصـول عليه ، هل اذا كان مقعد مليئا بخدم محكمة وشرطة ، وأخفى هؤلاءخطايا ورد اليها ، أو حكما كلفوا بتسليمه، فاحتفظوا به ، أهل هؤلاء هم حكامك ؟ ولابد لى من أن أقول لك ، انت يا ناسى الله ، ان رؤساءك لا علم لهم بقضيتك ، وأنى لاقول لك أيضا ، أن أمير البلاد ، الذى تستند اليـه ، لا يعرف حتى اسمك ، بحيث اذا جاء اليوم ، الذى تخطو فيه أمام عرش الله قصد أن تشكوه اليه ، سيستطيع هو أن يقول بوجه باش : يا آلهى ! أنى لم أظلم هذا الرجل ، لان نفسى لا علم لها بوجوده البتة ، ولتعلم أن السيف الذى تحمله ،

هو سيف اللصوصية وحب القتل ، أنك ثائر ولست محاربا فى سبيل الله العادل ، وسيكون مصيرك على الارض العجلة والمشنقة ، وفى الآخرة ستلحقك اللعنة على أعمالك الدنيئة ونكران الله •

فيتنبرج ، الخ مارتن لوتر»

وكان يجول فى صدر كولهاس الممزق ، داخل قصر ليتسن ، خطة جديدة لاحراق ليبزيج ، لانه لم يصدق النبأ الذي علق على جدران القرى ، والذى يقول ، أن اليونكر فنتسيل موجود بدرسدن ، لأن هذا النبأ لم يكن ممهرا من أى أنسان ، فضلا عن عدم توقيعه من بلدية المدينة ، كما سبق إن طلب هو ذلك ، ـ غير أن شترنبالد وفالدمان ذعرا برؤية المنشور ، الذى علق على مدخل الطريق المؤدى الى القصر أثناء الليل ، وقد أملا عدة أيام سدى أن يراه كولهاس وكانا لا يرغبان فى أن يتقدما اليه من أجل ذلك ، غير ان كولهاس كان منطويا على نفسه وفى حالة سيئة ، بحيث أنه كان لا يخرج من مقره ألا فى ساعات المساء ليصدر أوامره المقتضبة ، ولم ير شيئا ، حتى أنهما فى ذات صباح ـ وقد أراد كولهاس أن يشنق بضعة نفر من خدمه،

كانوا قد ارتكبوا أعمال السلب والنهب فى المنطقة ضد أرادته ـ عقدا العزم على أن يستدرجا انتباهه الى ذلك المنشور ، وكان كولهاس فى تلك اللحظة عائدا من ساحة الاعدام فى موكبه ، الذى درج على أن يسير فيه منذ منشوره الاخير ، وكان الشعب على الجانبين يبتعد عن طريقه فى وجل ، وكان يتقدمه سيف كبير مجنح ، محمولا على وسادة من الجلد الاحمر ، موشاة بخصائل من ذهب، ومن خلفه ، كان يسير أثنا عشر خادما يحملون مشاعل موقدة ، وعندئذ تقدم الرجلان يحملان سيفيهما تحت ذراعيهما ، ثم استدارا حول العمود ، الذى كان المنشور معلقا عليه ، بشكل كان لابد من أن يثير استغراب كولهاس فلما خطا تحت سقيفة الباب غارقا فى أفكاره ، ويداه متعانقتان على ظهره ، واذا به يرفع عينيه ويدهش ؛ ولما أفسح له الخادمان الطريق فى حركة خضوعية عندما رأياه، تقدم فى بضع خطوات سريعة نحو العمود ، وهو ينظر اليهما ، وهو شارد الذهن ، ولكن من يستطيع أن يصف ما اعتمل فى نفسه ، لما رأى المنشور ، الذى يلقى به فحواه فى حمأة المظالم ، ممهورا باسم أثمن وأجل رجل يعرفه ،

باسم مارتن لوتر ! علت حمرة داكنة وجهه ، قرأه ، وهو يرفع خوذته من على رأسه مرتين ، من بدايته الى نهايته ، ثم استدار وسط خدمه يلقى بنظرات حائرة ، كمن يريد أن يقول شيئا ، ولكنه لم يقل شيئا ، ونزع المنشور من الحائط وقرأه مرة أخرى ونادى «فالدمان ! أعد لى جوادى! » ثم بعد ذلك «شترنبالد ! أتبعنى الى القصر ! » واختفى، ولم يحتج الامر لاكثرمنهذه الكلمات القلائل ، لاجل أنيجرد فجأة من سلاحه فى هذا الفساد برمته الذى كان غارقا فيه ، فتنكر فى زى مستأجر أرض تيرنجى وقال لشـــترنبالد ، بأن أمرا ذا أهميـــة كبرى يقتضيه للسفر الى فيتنبرج ، ثم سلم اليه فى حضرة بضعة من رجاله الاكفاء ، قيـــادة الفرقة الباقية فى ليتسن ، ومشى وهو يؤكد أنه سيعود فى غضون ثلاثة أيام ، والتى لا يخشى هجوم خلال فترتها ، وســـافر الى فيتنبرج

نزل كولهاس فى خان تحت اسم مســـتعار ، حتى اذا خيم الليل ، لبس رداءه وتزود بمسدسين، كان قد غنمهما فى ترونكنبورج ، ودخل على لوتر فى مخدعه ، وكان لوتر جالسا الى قمطره ، غارقا بين مخطوطات وكتب ، لما رأى

هذا الغريب ذا الطابع الشاذ ، يفتح باب مخدعه ثم يحكم غلق الباب من خلفه ، فسـألـه لوتر ، عمن يكون هو ، وما الذى يريده ، فقال له الرجل ، وهو ممسك بقبعته فى يده فى أجلال ، تداعبه بوادر شعوره المحـرج ، بالرعب الذى سيسببه له ، حينما يذكر له اسمه ، ولم يكد يجيبه ، بأنه ميشايل كولهاس تاجر الخيل ، حتى صـاح لوتر « انسحب بعيدا عن هنا ! » ، وفى خلال ذلك قام من مقعـده وأسرع الى الناقوس ، مستطردا يقول « أن نفسك طاعون وقربك فساد !» أخرج كولهاس مسدسه من غير أن يتحرك من مكانه وقال « أيها السيد الرفيع الشأن ، هذا المسدس سيلقى بى جثة هامدة تحت أقدامكم ، اذا أنتم هززتم الناقوس! لتجلسوا ولتستمعوا الى ، لستم أكثر أمانا على نفسكم بين هـؤلاء الملائكة ، الذين تنقلون مزاميرهم عنكم معى» ، جلس لوتر وسأله «ما الذى تريده ؟ »

فأجاب كولهاس «أريد أن أفند رأيكم فى بأنى رجل ظالم قلتم لى فى منشوركم ، أن السـلطة الحاكمة لا علم لهـا بقضيتى ، فليكن ، اذن افتحوا لى طريق الامان اليها ، وأنا أذهب الى درسدن ، وأضع شكواى أمامها » ـ فصـاح

لوتر ، ولو أنه تبلبل من كلمـاته ، وهدأت نفسه فى نفس الوقت ، فيه قائلا : « يا رجل ، يا باغ ، يا فظيـع ، مـن الذى أعطاك الحق فى أن تعتدى على اليونكر فون ترونكا، جريا وراء اعتقاد بحق ، أنت الذى فرضته بنفسك ، فلما لم تجده فى حصنه ، هاجمت بالسيف والنار المجتمع برمته الذى يحميه ؟» فقال كولهاس « أيها السيد الرفيع الشـأن لن أعتدى على أحد بعد اليوم ! ، خبر وصلنى من درسدن أضلنى وغرر بى ! ، وأن الحرب التى أقودها ضد المجتمع تكون جناحا ، فى اللحظة التى أكون لم أطرد منه كما أكدتم لى» ـ فصاح لوتر ، وهو ينظر اليه «طردت ! ، ما هـذا الجنون فى التفكير الذى استولى عليك ؟ من الذى طردك من مجتمع الدولة الذى كنت تعيش فيه ؟ ، نعم أنى لـى بحالة طرد فيها أنسان ، أيا كان شخصه ، منه ، طـول ما هناك دول قائمة ؟» ـ فأجاب كولهاس ، وهو يضغط بيـد على الاخرى ، «أسميه مطرودا ، هذا الذى يحرم من حماية القـوانين ! ، فهـذه الحماية ضرورية لى ، لازدهار مهنتى الوادعة ، أنها هذه الحماية بالذات ، التى من أجلها أنا وما يحيط بى ممـا اكتسبته ، ألجأ الى هـذا المجتمع ، والذى

يحرمني هذه الحماية ، انما يدفعني الى المتوحشين سكان القفور، أتنكرون أنه انما بذلك يعطيني هراوة فى يدى، التى أذ ذاك تحميني» ـ فقال له لوتر « من الذى حرمك من حماية القوانين ؟ ألم أكتب اليك بأن الشكوى التى قدمتها ، لا يعلم شيئا عنها أمير البلاد ، الذى قدمتها اليه ؟ ، اذا أخفى موظفو الدولة ، على غير علم منه ، قضايا عنه ، او ألقوا باسمه المقدس ، على غير علم منه ، فى حمأة السخرية ، من الذى يسمح له ، بأن يحاسبه على اختياره لامثال هؤلاء الموظفين ، غير الله وحده ؟ فهل لك أنت ، أيها الرجل الشرير يا من تنصب عليك لعنة الله ، أن تحاسبه من أجل ذلك؟» ـ فقال كولهاس «حسنا ، اذا كان أمير البلاد لا يطردني، فأني مستعد لان أعود الى المجتمع الذى يحميه ، أعود وأقول ، أفسحوا لى طريق الامان الى درسدن ، وانا أدع فرقة الجنود المرتزقة التى جمعتها ، فى قصر ليتسن ، تتفرق شيعا ، وأتقدم بشكواى ، التى سبق ان رفضت ، مرة أخرى ، الى محكمة البلاد » ـ ألقى لوتر الاوراق التى كانت على مكتبه فوق بعضها متبرما ، وسكت ، فقد ضايقه هذا الموقف العنيد ، الذى اتخذه هذا الرجل الغريب

فى نوعه ، فى الدولة ، ثم أخذ يفكر فى قرار المطالبة بالحق الذى بعث به من كولهازنبروك الى اليونكر ، ثم سأله عما يريد أن تؤديه اليه محكمة درسدن » فأجاب كولهاس «معاقبة اليونكر ، وفقا للقوانين ، وأعادة الخيل الى حالتها الاولى ، والتعويض عن الخسائر التى أصابتنى وأصابت خادمى هرزه ، الذى سقط قتيلا فى ميلبرج ، نتيجة لاعمال العنف ، التى ارتكبت معنا » ــ فقال لوتر «تعويض الخسائر! تعنى المبالغ التى أخذتها بالآلاف من المسيحيين واليهود، بكمبيالات ورهنيات، من أجل أن تمول رغبتك فى الانتقام لنفسك بصورة متوحشة ، أتريد أن تضم أيضا قيمتها ألى قائمة الحساب ، اذا سئلت عن ذلك فيما بعد ؟» ــ فقال كولهاس «معاذ الله أن أطلب أعادة بيتى، وضيعتى، واليسر الذى كنت فيه ، كما أنى ، لن أطالب بنفقات دفن زوجتى ، ولكن سيؤدى لام هرزه العجوز حساب نفقات العلاج وحساب تفصيلى ، لما فقده ابنها فى ترونكنبورج ، واما الخسارة التى تكبدتها بسبب عدم بيع الخيل السوداء فلتقدرها الحكومة بواسطة خبير» ــ فقال لوتر وهو ينظر اليه « يا أيها الرجل الثائر ، غير المعقول والمريع، بعد

أن اقتص سيفك من اليونكر بأفظع ما يتصور من الانتقام، ما الذى يدفعك الى التمسك بحكم قضائى ضده ، والذى لو صدر فى النهاية ، فحدته لن تصيبه الا بدرجة واهنـــة» فقال كولهاس ، وقد انحدرت دمعة على خـديه : «أيهـا السيد الرفيع الشأن ! ، لقد كلفنى ذلك ضياع زوجتى ، يريد كولهاس أن يظهر للعالم ، أنها لم تمت من أجل قضية غير عادلة ، أرجوكم أن تخضعوا لهذه الفقرات من رغبتى، ودعوا المحكمة تقول كلمتها ، وأما ما يمكن أن يكون عدا ذلك من نزاع ، فأنا خاضع لحكمكم » ــ فقـــال لوتـــر « أنظر ، ان ما تطلبه عادل ، لو أن الظروف كانت حقيقة، كما ينادى به صوت الرأى العام، ولو أنك كنت عرفت ان تضع نزاعك أمام أمير البلاد ، ليبت فيه قبـــل أن تلجـأ للانتقام لنفسك بنفسك ، لما شككت فى نيلك لمطالبـك بحذافيرها ، لو أنك تزن الامور ، كان الاجدر بك ، من أجل مخلصك ، أن تصـفح عن اليـــونكر وتأخـــذ خيلك السوداء عجافا منهوكة كما كانت ، وتمتطيها وتعود بها الى حظيرتك بكولهازنبروك ، وتتولى أنت علفها وأسمانها؟» ــ فقال كولهاس وهو يتجه الى النافذة «ربما كان ذلك أصوب

وربما كان غير ذلك أيضا ! ، لو كنت أعلم ، أنى سأضطر الى أعادتها الى قوتها بدماء من قلب زوجتى المحبـوبة ، ربما كنت فعلت كما قلتم ايها السيد الرفيع الشأن ، ولـم اتردد فى تقديم أردبا من الشوفان اليها ، ولكن قدر أن تكلفنى هذا الثمن الفـادح ، ولذا فانى أرى أن تعطى القضـية مجراها : دعوا الحكم القضائى كما يستحق لى يتكلـم ، ويرغم اليونكر على أن يطعم الخيل السوداء ويسمنها» ــ فقال لوتر ، وقد عاد يعبث تحت تأثير بعض الخـواطر فى أوراقه ، بأنه يود أن يتفاوض مع الامير الناخب فى شأنه ، وطلب اليه أن يخلد الى السكينة خلال هذه الفترة فى قصر ليتسن ، فاذا منحه الامير طريق الامان ، فسيحاط علمـا بذلك عن طريق المنشورات العامة ، واستطرد يقول ، فى اللحظة التى انحنى كولهاس ليقبل يده «ولو أنى لا أعلم ، عما أذا كان الامير الناخب ، يرى من الصواب أن يصدر عفوا ، لانى أسمع ، أنه أعد فرقة من الجيش ، وأنه على وشك أن ينقض عليك فى قصر ليتسن ، وانى كما سبق أن قلت لك ، لن أتراخى فى بذل جهـدى» ، وقام عقب ذلك واقفا ، كمن يؤذن له فى الانصراف ، فأعرب كولهاس عن

أن حديثه لصالحه فى هـذه النقطـة بالذات ، قـد بعث الطمأنينة التامة الى نفسه ، ومد لوتر يده اليه مسـلما ، وفجأة جثا كولهاس بركبته أمامه ، وقال بأنه يحمـل رجاء اليه فى قلبه ، فقد اعتاد أن يذهب الى العشاء المقدس فى عيد العنصرة ، غير أنه ، بسبب أعماله الحربية ، فاته أن يذهب الى الكنيسة ، فهل يسدى اليه هذه المكرمـة ، ويتقبل اعترافه بدون أجراء تهيئة لذلك ، وأن يعطف عليه، ويمنحه من ناحية أخرى بركة السر المقدس ؟ ، فقال لـه لوتر بعد تفكير وجيز ، وهو ينظر اليه بحدة «حسـنا يـا كولهاس ، سأفعل ذلك !، ولكن السيـد الذى انت تتوق الى صفحه ، قد عفا عن عدوه » ثم استطرد يقول وهو يرى كولهاس ينظر اليه فى حيرة «هل تود انت ايضا بالمثل أن تصـفح عن اليونكر ، الذى أهـانك، فتـذهب الى ترونكنبورج ، وتمتطى جيادك السوداء ، وتعود بها الى كولهازنبروك، وتطعمها لتسمنها ؟ » ـ فقال كولهاس ، وقد طغت حمرة على وجهه ، وهو يمسك بيده ـ «أيهـا السيد الرفيع الشأن ، ولكن لم يصفح السيد أيضا عن كل أعدائه ، دعونى أصفح عن الامراء الحاكمين ، وسيدى ،

أمين القصر ومدير شئونه ، والسيدين هنتز وكوتتز ، وكل من أساء الى فى هذه القضية ، الا اليونكـر، ، فيجبر أن أمكن ، على أطعام خيلى حتى يسمنها » ـ فلما سمع لوتر هذا الكلام منه أدار له ظهره ، بعد أن ألقى اليه بنظـرة عدم رضى ، ودق الناقوس ، قام كولهاس واقفا من الارض وقد استبدت به حيرة ، وهو يجفف عينيه ، فى حين أقبل فامولوس [1] يحمل مصباحا على صوت الناقوس الى الرواق الامامى ، وحاول عبثا أن يعالج الباب ، الذى كان مغلقا من الداخل بالمزلاج ، وفى أثناء ما أن جلس لوتر وعاد الى أوراقه، فتح كولهاس الباب للرجل، فقال لوتر للفامولوس بعد ان وجه نظرة جانبية عابـرة الى الرجـل الغـريب ، «أضيء» فأخذ الفالوموس المفتاح من الحائط ، وهو شده نوعا ما من الزائر الذى يراه ، ثم ارتد الى باب المخـدع الذى كان مفتوحا الى نصـفه ، ووقف ينتظر ذهابه ، ـ

وقال كولهاس متأثرا ، وقد أخذ قبعته بين يديه، «وعلى ذلك لن أستطيع أن أنال نعمة الصفح عنى، هذا الذى رجوته منكم، أيها السيد الرفيع الشأن؟» فأجابه لوتر باقتضاب: «من منقذك ، لا، أما بصدد أمير البلاد ، فأنى أحتفظ فى وعدى،

1 ـ طالب تحت التمرين او هو طالب يلازم عالما وفى خدمته

بأنها محاولة ! » ثم أومأ الى الفامولوس أن ينهى المهمة التى دعاه من أجلها بدون تلكؤ ، فوضع كولهاس كلتا يديه على صدره ، وأمارات اليأس الشديد بادية على وجهه ، وتبع الرجل ، الذى أضاء له السلم هابطا واختفى

وفى الصباح التالى دون رسالة الى أمير سكسونيا الناخب ، يفاتحه فيه بصراحته المعهودة بعد أن ألمح ، فى أشارة عابرة مرة ، الى هر هنتز فون ترونكا أمينه وهر كونتز فون ترونكا ساقيه المتلفين بشخصه، اللذين أخفيا الشكوى عنه ، كما هو شائع أجمالا ، فاتحه بأنه لا حل تحت ظروف منغصة ، كهذه ، ألا أن يقبل مقترح تاجر الخيل ، وأن يصدر عفوا عنه بسبب ما وقع ، حتى يمكنه أن يقدم قضيته من جديد ، وقد لاحظ أن الرأى العام الى جانب هذا الرجل بدرجة غاية فى الخطورة،حتى أنه انبعث صوت يدافع عنه من أعماق مدينة فيتنبرج نفسها ، التى أحرقها هو ثلاث مرات ، ولما كان مما لا شك فيه أنه فى حالة رفض عرضه ، سيعرف كولهاس جيدا ، كيف يذيع ذلك بتلاميح مثيرة للحقد بين طبقات الشعب ، ومن الممكن أن يغرى ذلك الشعب بسهولة ، لدرجة أن يعجز سلطان الدولة على

أن يقوم بعمل ضده ، وختم خطابه بقوله ، انه فى هـذه الحالة غير العاديـة ، يجب أن يتجاهل التشـكك على أن المفاوضات تجرى مع مواطن لجأ الى حمل السلاح ، لانه فى الواقع أن كولهاس قطعت فى شكل ما صلته بالدولة ، من جراء الاجراءات التى استعملت ضده، وأجمالا يجب للخلاص من هذا المأزق ، أن ينظـر اليه كأنه قوة أجنبيـة غزت البلاد ، وأن هذه التسمية تحق على وجه ما ، حيث أنه أجنبى ، عن أن يوصف بأنه ثائر على العرش ؛ تسـلم الامير الناخب الخطاب فى الوقت الذى كان عنده بالقصر، الامير كريستيرن فون مايسن قائد عام جيش الدولة ، وعم الامير فريدريش فون مايسن ، الذى انهزم فى ميلبرج ، وطريح الفراش بسبب جراحه ، ومستشار المحكمة الكبير، جراف فريدا ، وجراف كالهايم ، رئيس مستشارية الدولة، والسيدين هنتز وكونتز فون ترونكا ، الاول أمينه وثانيهما ساقيه ، وهما صديقا الطفولة للامير الناخب والمقربين اليه ولما كان أمينه الهر كونتز بصفته مستشار الامير السرى فى مراسلاته السرية ، فأنه كان يتمتع بحق استخدام اسـمه وشعاره ، وانتزع الكلمة الاولى لنفسه ، وقالمبتدئا مرة

اخرى بتفنيد القضية ، التى أقامها تاجر الخيل ضد اليونكر ابن عمه أمام المحكمة ، على نطاق واسع بأنه ما كان ليسمح لنفسه البتة ، أن يمزق القضية بمرسوم أصدره على مسئوليته الشخصية ، لو لم يغرر فيها ببيانات خاطئة، ولذا اعتبرها، مجرد نكاية لا هدف لها ، وتدرج بذلك الى الموقف الحالى للمسألة وقال بأنه لا حق لتاجر الخيل ، من أجل هذه الزلة لا فى النواميس الآلهية ولا البشرية ، أن ينتقم لنفسه بهذه الشناعة كما سمح لنفسه ، مبينا الهر كونتز ، العظمة الشخصية التى ستنصب على رأس تاجر الخيل الملعون، اذا تفووض معه على أنه قوة حربية حقة، والعار الذى سيرتد الى شخصية الامير الناخب المقدسة ، لاح له أن ذلك مما لا يطاق ، حتى أنه فى حمية طلاقة لسانه قال بأنه يفضل أن يواجه أخطر الامور عن أن يحقق قرار مطالبة الحق لهذا الثائر المجنون، ويفضل أن يساق اليونكر ابن عمه الى كولهازنبروك لعلف الخيل السوداء وأسمانها، عن أن يرى الاقتراح الذى قدمه الدكتور لوتر ، يوافق عليه ، وعند ذلك استدار مستشار المحكمة الكبير جزئيا اليه ، وعبر عن أسفه بأن اهتماما عاطفيا كهذا ، الذى

يظهر بالنسبة لسمعة الامير لحل مسألة هى فى الواقع دقيقة ، أنه لم يملؤه فى المناسبة الاولى ، وصرح للامير الناخب عن قلقه من استخدام سلطان الدولة لتنفيذ اجراء غير عادل صراحة ، وأومأ بألماح ظاهر الى انضمام الشعب الذى لقيه تاجر الخيل باستمرار فى البلاد ، حتى أن خيط الاعمال الشريرة يهدد بهذا الوضع أن يمتد نسيجه الى ما لا نهاية ، وبين أن انصافا بسيطا فقط ـ وذلك بأن يصلح بسرعة وبدون مراعاة أى اعتبار آخر الزلة التى ارتكبت ـ فيمزق نسيجه ، ويمكن أن تخرج الحكومة سليمة من هذا التصرف الشنيع ، فلما سأل أمير البلاد ، الامير كريستيرن فون مايسن عن رأيه فى ذلك ، قال وهو يتجه نحو المستشار الكبير بأجلال : بأن طريقة تفكيره التى أوضحها ، تملأ نفسه حقا بأجل مشاعر الاحترام ، ولكنه وهو يود أن يساعد كولهاس للحصول على حقه ، لم يفكر فى أن ذلك سيؤثر على حق فيتنبرج ، وليبزيج ، والبلاد كلها العادل التى أسيء اليها على يده ، فى تعويض أو على الاقل ، فى أنزال العقاب به، أن نظام الدولة بالنسبة لهذا الرجل مختل لدرجة أنه من الصعب أن يستطاع أن يرد الى الوضع

الصحيح ، بالاستناد الى مبدأ يقترض من علـم القانون، ولذا فأنه يحبذ ، تمشيا مع رأى الامـين ، أن يفكـر فى استخدام الطريقة التى يلجأ اليها فى مثل هذه الحالات :
جمع فرقة من الجيش فى حجم كاف ، والقبض بها على تاجر الخيل الذى ثبت أقدامه فى ليتسن أو القضاء عليه ، سحب الامين مقعدين من جانب الحائط ووضعهما باحتشام له وللامير الحاكم داخل الحجرة ، ثم قال ، بأنه مسرور أن رجلا فى أخلاصه وأدراكه ، يتفق معه فى الطريقة التى تسوى بها مسألة ذات وجهين ، فنظر اليه الامير وقدأمسك بالمقعد فى يده من غير أن يجلس عليه ، وأكد له وهو ينظر اليه ، بأنه لا يملك سببا يدعوه أن يفعم سرورا من أجـل ذلك ، وأن الاجراء الذى كان مرتبطا بذلك ، كان يحتـم قبلا اصدارأمر بالقبض‌عليه، وأقامة قضية ضده‌بسبب‌أساءة استعمال اسم سيد البلاد ، لانه اذا تطلبت الضـرورة أن يسدل الستار أمام عرش العدالة ، عن مجموعة من أعمال أجرامية ازدادت الى مدى لا ترى نهايته ، والتى لن تجد لها مكانا للظهور أمام منصته ، فأن ذلك لن ينطبـق على الجريمة الاولى التى سببتها ، وليس الا اتهامه الى حـد

الاعدام يمكن أن يخول الدولة سلطة لسحق تاجر الخيل، والذى قضيته كما هو معروف عادلة جدا ، والذى أعطاه الانسان بنفسه السيف فى يده ، الذى يحارب به ، استدار الامير الحاكم ــ الذى رآه الوصيف وقد اعتراه ذهول عند سماع هذه الكلمات ــ وقد علت وجهه بأكمله حمـــرة ، واتجه الى النافذة ، قال جراف كالهايم ، بعد فترة صمت حيرة عمت الجميع ، بأنه على هذه الوتيرة لن يستـــطيعوا الخروج من الدائرة السحرية المســـجونين فيهـــا ، وبنفس الحق ، يستطيع الانسان أن يقيم الدعوى ضد ابن عمه الامير فريدريش ، لانه هو أيضا فى حملته الغريبة الطابـــع التى قام بها ضد كولهاس ، قد تعدى بطرق ما ، التعليمات المعطاة اليه، بدرجة أن لو سئل عن الزمرة المتشعبة الاطراف التى سببت الورطة المنزلق فيها ، فأنه سيذكر هو أيضا فى عدادها ، ويجب أن يحاسب من سيد البلاد ، من أجل ذلك الذى حدث بالقرب من ميلبرج ، التقط الساقى الهر هنتز فون ترونكا الكلمة، خلال ما كان الامير الحاكم يتقدم نحو مائدته بنظرات حائرة ، وقال بأنه لا يفهم ، كيف يستطيع أن يفلت قرار الدولة الواجب صدوره ، من رجال فى مثل

هذه الحكمة ، كهؤلاء المجتمعين هنا ، وأنه كما يعلم ، وعد تاجر الخيل فقط ، مقابل الامان فى سفره الى درسدن وتجديد التحقيق فى قضيته ، أن يسرح فرقته من الجنود المرتزقة التى سطا بها على البلاد ؛ غير أن هذا لا يعنى ، أن لابد أن يمنح العفو عن هذا الانتقام النفسى الاجرامى أنهما اصطلاحان قانونيان، يلوح أن الدكتور لوتر ومجلس الدولة أيضا ، اختلطا عليهما فيهما ، ثم استطرد يقول ، وقد وضع أصبعه فوق أنفه « فاذا أصبح الحكم من أجل الخيل الصادر من محكمة درسدن ، وسيان على أى وجه لم يكن هناك عندئذ عائق من أن يزج بكولهاس فى السجن على أساس القتل وأشعال النار والسرقة : تصرف لبق من جانب الدولة ؛ يجمع مزايا وجهات نظر كلا رجلى الدولة، ويضمن رضى العالم والاجيال القادمة » ـ قال الامير الحاكم ـ عندما أجاب الاميرفون مايسن كما أجاب المستشار الكبير الساقى هر هنتز على هذا الحديث بنظرة فقط ، ولاح أن التفاوض قد انتهى بذلك ـ قال الامير الحاكم بأنه سيفكر فى نفسه فى الآراء المختلفة التى ألقيت أمامه ، حتى الجلسة المقبلة لمجلس الدولة ـ لاح أن الاجراء الاول

الذى فكر فيه الامير، قد أبعد عن قلبه التواق الى الصداقة الرغبة فى تنفيذ الحملة العسكرية ضد كولهـاس ، والتى كان قد تم أعداد كل شيء لها ، وعلى أى حال فأنه استبقى المستشار الكبير جراف فريدا ، الذى لاح له أن رأيه هو الاجدى ، ولما كان هذا قد قدم له خطابات ، التى اتضـح منها، أن تاجر الخيل، قد نمت قوته فى الواقع الى أربعمائة رجل وأنه من الممكن أن ترتفع فى زمن قصير الى الضعف أو ثلاثة الاضعاف ، نعم بالنسبة لعدم الرضى الشـامل ، الذى يعم البلاد بسبب أخلال الامين باللياقة ، قرر الامير الحاكم ، من غير استمرار فى التردد ، أن يقبل النصـيحة التىأسداها آليه الدكتور لوتر، وبناء على ذلك، سلمجراف فريدا الاشراف الكلى على قضـية كولهاس ، وبعد أيـام قلائل ظهرت لوحة ننشرها حسب جوهر فحواها كالآتى :

«نحن الخ .. أمير سكسونيا الناخب فى مراعاة رحيمة خاصة للشفاعة التى وجهت الينا من الدكتور لوتر ، نمنح ميشايل كولهاس تاجر الخيل من براندنبورج، أمان الطريق الى درسدن ، من أجل تحقيق جديد فى قضيته ، على شرط أن يلقى ، فى ظرف ثلاثة أيام من علمه ، السلاح الذى لجأ

اليه ، وذلك بحيث لو أنه ــ وذلك غير متوقــع ــ رفض بشكواه من أجل الخيل السوداء فى محكمــة درسدن ، فسيحاكم بكل صرامة القانون من أجل مغامرته، بقــوته الذاتية لانتزاع حقه بنفسه، أما فى الحالة العكسية، فسيمنح هو وفرقته كلها حق الصفح ، والعفو التام عــن أعمــال العنف التى ارتكبت فى سكسونيا»

لم يكد كولهاس يتسلم من الدكتور لوتر نسخة من هذا المنشور ، الذى علق فى جميع بقاع البلاد ، حتى أســرع الى أطلاق سراح فرقته ، بالرغم من اللغة المشروطة المدونة فيه ، بعد أن غمرها بالهدايا وأعرب لها عن شكره وزودها بالنصائح المفيدة ، ثم وضع كل ما غنمه من مال وسلاح وعتاد لدى محاكم ليتسن ، كمتاع للامير الحاكم ، وبعــد أن بعث فالدمان بخطابات الى المأمور فى كولهازنبروك، لاعادة شراء ضيعته، اذا كان ذلك ممكنا، وبعث بشترنبالد الى شفيرين ليأتى له بأولاده، حيث كان يرغب فى ان يعودوا اليه ليعيشوا فى كنفه ، غادر قصر ليتسن من غير أن يعرف حاملا معه باقى ثروته الصغيرة فى أوراق ماليــة ، ميممــا صوب درسدن

انبلج الصباح فى التو ، وكانت المدينة كلهـا لا تـزال غارقة فى النوم ، حينما طرق كولهاس باب ملكه الصغير ، الواقع فى الضاحية البيرنية والذى كان قد بقى له من أمانة المأمور ؛ ففتح الباب توماس الرجل المسن المكلف برعاية شئون الملك ، فى دهشة وارتباك ، والذى قال له كولهاس، أن ينبىء الامير فون مايسن فى دار الحكومة، بأنه كولهاس تاجر الخيل قد جاء ، رأى الامير فون مايسن لما جاءه هذا النبأ أن من المفيد أن يتبين الموقف فى الحال بنفسه قبـالة هذا الرجل ، فلما ظهر فى الشوارع التى تؤدى الى سكن كولهاس ترافقه حاشيته من الفرسان وخدم المتاع ، كانت قد تجمعت فيها جموع من الناس لا حد لها ، اذ أن خبـر وجود ملاك الموت الذى يطارد المستبدين بالشعب بالسيف والنار ، أقام درسدن بأسرها مدينة وضاحيـة على قـدم وساق ، وكان من الضرورى أحكام غلق باب البيت أمام اندفاع جموع الشعب الفضولى ، وتسلق الصبية النوافذ ليتفرسوا السفاح مشعل النيران ، الذى كان يتناول فطوره فى الداخل ، فلما دلف الامير الى داخل البيت بمسـاعدة الحرس الذى أفسح له الطريق ، ودخل غرفة كولهـاس ،

سأله ، وكان كولهاس الذى كان قد خلع ملابسه جزئيا وواقفا أمام خوان ، عما اذا كان هو كولهاس تاجر الخيل، فرد عليه كولهاس ، وهو ينزع من نطاقه حافظة أوراق تحتوى على عدة وثائق ، تتحدث عن حالته ، وقدمها اليه بكل خشوع ، رد عليه نعم! وأردف ذلك بقوله : أنه جاء الى درسدن بعد أن سرح جيشه ، وفى ظل الحرية التى منحه أياها أمير البلاد ، لاجل أن يرفع دعواه أمام المحكمة من أجل خيله السوداء ، ضد اليونكر فنتسيل فون ترونكا ألقى الامير بنظرة عابرة عليه من رأسه الى قدمه ، ثم تصفح على عجل الوثائق الموجودة بالحافظة ، ثم طلب اليه أن يبين له ، ما الذى تعنيه الوثيقة التى وجدها بينها المحررة من محكمة ليتسن عن الاشياء الموضوعة لصالح خزينة الامير الحاكم ، ثم درس كنه هذا الرجل عن طريق توجيه أسئلة عدة متباينة اللون ، كأن سأله عن أطفاله وثروته ونوع الحياة التى يفكر فى أن يحياها مستقبلا ، وبعد أن تثبت من كل ما يبعث الاطمئنان عن مستقبل مسلكه ، أعاد أليه أوراقه ثم قال له ، بأن لا عائق أمامه فى أقامة دعواه ، وأن يتصل توا بنفسه بمستشار المحكمة الكبير ، جراف فريدا

لاقامتها ، وقال له الامير بعد فتــرة ، تقدم خــلالها الى النافذة وتطلع بدهشة الى جموع الشعب التى احتشدت أمام المنزل، «يجب عليك خلال ذلك فى الايــام الاولى أن تقبل حراسة تقوم على حمايتك فى بيتك ، كما تفعل ذلك اذا خرجت» ــ نظر كولهاس فى شده الى أسفل وسكت فقال له الامير وهو يعود فيترك النافذة : «على السواء ما قد ينجم عن ذلك ، فهذا ما يجب أن تنسبه الى نفسك» ، ثم عاد واستدار نحو الباب معتزما مغادرة المنزل ، فقــال كولهاس وقد فكر فى الامر «أيها السيد الرحيم ! أعملــوا ما تشاءون، ولكن أعطونى وعدا منكم أن ترفعوا الحراسة عنى ، متى رغبت أنا فى ذلك ، وبذلك لن أعارض فى هــذا الاجراء ! » فرد عليه الامير قائلا : بأن ذلك لا يحتاج الى جدل ، ثم عين له ثلاثة من الجنود المرتزقة وقدمهم اليــه لهذه المهمة ، وبين لهم أن هذا الرجل ، الذى تركوا فى بيته حر وأن عليهم فقط أن يتبعوه اذا خرج لحمايته ، ثم حيا تاجر الخيل بحركة من يده تسودها روح التنازل وانصرف

حوالى الظهر قصد كولهاس يرافقه الجنــود المرتــزقة الثلاثة الى مستشار المحكمة الكبير جراف فريدا ، وكانت

تتبعه جموع لا حصر لها ، غير أنها لم تسيء أليه بشكل ما بناء على تحذير من الشرطة ، وبعد أن استقبله المستشـــار الكبير فى مخدعه الامامى برقة ولطف تحدث اليه ساعتين كاملتين ، وجعله يقص عليه مجرى قضيته برمته من بدءها الى نهاينها ، أشار عليه بعد ذلك أن يدون شـــكواه توا ويقدمها الى محام شهير بالمدينة مقيد أمام المحكمة ، اتجه كولهاس على الفور الى منزل ذاك المحامى ودون شكواه طبقا للاولى المرفوضة ، وهو معاقبة اليونكر طبقا للقوانين وأعادة الخيل الى حالتها الاولى ، والتعويض عن الخسائر التى أصابته هو والتى أصابت أيضا تابعههرزهالذىسقط قتيلا فى ميلبرج لصالح آمه العجوز ، وعاد بعد ذلك الى منزله ترافقه جموع الشعب التى كانت لاتزال تحملق فيه، غير أنه صمم على عدم تركالمنزل الا اذا دعته أمورضرورية لذلك

فى أثناء ذلك أطلق أيضا سراح اليونكر من معتقـــله فى فيتنبرج ، ثم دعته محكمة المقاطعة ، مســـتندة الى قـــوة القانون بعد أن شفى من حمرة خطرة كانت قد أصـــابت قدمه بالتهاب ، الى المثول أمامها فى درسدن لاستجوابه فى

الدعوى المقامة ضده من تاجر الخيل كولهاس، والتى يقول فيها بأنه اغتصب خيله السوداء وأساء اليهـا وأنهكها ، واستقبل اليونكر ابنا عمه الشقيقان الاقطاعيـان فـون ترونكا ، الامين والساقى ، حيث نزل فى بيتهما ، بأقـذع عبارات الحنق والازدراء ، ونعتاه بأنه كارثة وعديم القيمة، جلب الخزى والعار للاسرة كلها وتنبآ له بأنه لابد أنه فاقد القضية ، وطلبا اليه ان يسرع ويعد العدة لاحضار الخيل السوداء والتى سيكون علفها لاسمانها حكما عليه ، والذى سيسبب سخرية العالم وتهكمه ، فقال اليونكر بصـوت ضعيف يرتعش ، بأنه أتعس أنسان فى العالم ، وأقسم بأنه لا يعلم من أمر هذه المشكلة المشئومة برمتها ، والتى ألقت به فى الهاوية ، ألا القليل ، وأن الذنب يقـع كله على عاتق أمين القصر ومدير شئونه اللذين استخدما الخيل من غير أدنى علم له، أو رغبة فى استخدامها فى الحصاد ، وأجهداها بأفراط الى حد الانهاك ايضا فى مزارعهما الخاصة ثم جلس وهو يقص ذلك ، وتوسل اليهما أن يكفا عن توجيه الاساءة والاهانة اليه حتى لايدفعان به مرة أخرى عن قصد الى الفجيعة التى يكاد يكون قد انتشل نفسه منهـا ، وفى اليوم التالى

كتب السيدان هنتز وكونتز المالكان لمزارع فى منطقة قصر ترونكنبورج الذى دمرته النيران بناء على رجاء ابن عمهما اليونكر ــ ولم يجدا مفرا من ذلك ــ كتبا الى المشرفين على ادارة مزارعهما والمؤجرين لها ، ليستقيا معلومات عن الخيل السوداء التى اختفت منذ ذلك اليوم المشئوم ولا يعرف لها منذ ذاك الحين مستقر ، غير أن كل ما استطاعا الحصول عليه من معلومات من المنطقة المدمرة تماما والتى ذبح كل سكانها تقريبا ، هو أن خادما أنقذها من الحظائر التى كانت النيران ترعى فيها والتى كانت الخيل مستقرة بداخلها ، وذلك تحت ضربات من السفاح مشعل النيران بعارضة سيفـه التى كان يكيلها للخادم ، فلما سأله فيما بعد ، الى أين يقودها ، وما الذى يفعله بها ، كان جوابه أن عاجله الثـائر الرهيب بركلة من قدمه ، وأكدت راعية بيت اليونكر العجوز التى أنهكها مرض النقرس ، والتى كانت قد هربت الى مايسن ، أكدت له ردا على خطـابه الاستفسارى بأن الخادم اتجه فى صـباح الليلة المشئومة بالخيل الى حدود مقاطعة براندنبورج ، غير أن جميع الاستفسارات التى وجهت الى هناك كانت بلا ثمرة ، والواقع أن هذا الخبر كان فى الحقيقة خطأ من أساسه ، لأن

اليونكر لم يكن عنده خادم وطنه هذه المقاطعة ، حتى ولا الطريق المؤدى الى هناك ، قال رجال من درسدن كانوا قد ذهبوا بعد بضعة أيام من حريق قصر ترونكنبورج الى فيلسدروف بأن خادما وصل الى هناك حول الوقت المذكور بجوادين يسيران مربوطين فى لجام ، ولما كان الجوادان فى حالة أعياء شديد وكانا عاجزين عن الاستمرار فى السير فانه تركهما فى حظيرة بقر لاحد الرعاة الذى حاول من جانبه ان يعيد اليهما قوتهما ، ويلوح لبعض الاسباب أن من المرجح أن تكون هذه هى خيل القضية ، غير أن أناسا وفدوا من هناك أكدوا أن راعى فيلسدروف قدباعهما لشخص ولكنهم يجهلونه ، وحتى شائعة ثالثة بقى مصدرها غامضا تقول بأن الله قد اختارهما وأنهما مدفونان فى مقبرة العظام فى فيلسدروف ، وقد رحب السيدان هنتز وكوتنز من صميم قلبهما بهذا التطور فى المشكلة ، ومن السهل أن يدرك الانسان ذلك ، حيث أنهما بذلك يكونان ، بسبب عدم وجود حظائر خاصة باليونكر ابن عمهما ، قد عوفيا من اضطرارهما لعلف الخيل السوداء فى حظائرهما ، غير أنهما أرادا أن يحققا تأكيدا تاما بسبب هذا الظرف ، وعلى ذلك

بعث هرفنتسيل فون ترونكا بصفته سيد اقطاعى وسـيد وارث وسيد محكمة ، خطابا الى محاكم فيلسدروف يطلب اليها أن تتفضل باسداء خدمة اليه ، والذى ذكر لها فيه وصفا تفصيليا للجوادين الاسودين ، وأنهما كما يقول كانا أمانة فى عنقه وفقـدهما بسبب حادث ، وطلب اليها أن تبحث له عن مستقرهما فى ذاك الحين، وتطلب الى مالكهما، أيا كانت شخصيته ، وتلح عليه أن يأتى بهما الى حظـائر الامين هر كوتنز فى درسـدن مقابل تعويض كل النفقـات بسخاء ، وبناء على هذا الاجراء تقدم حقيقة أيضا رجل بعد بضعـة أيام كان راعى فيلسـدروف قد باعه الجوادين ، يسوقهما مربوطين الى العمودالجانبى لعربته عجافا يترنحان الى سوق المدينة ، ولكن لسوء حظ هر فنتسيل وأسوأ منه حظ كولهاس ذلك الرجل الشريف ، أن يكون هو حانوتى الحيوانات من بلدة دوبيلن

ولم يكد هرفنتسيل فى حضرة الوصيف ابن عمه يستمع الى شـائعة مبهمة بأن رجـلا وصل الى المدينـة بجوادين أسودين هاربين من حرائق قصر ترونكنبورج حتى توجه الاثنان رفقة بضعـة خدم جمعت على عجل مـن المنزل الى

ميدان القصر حيث كان الرجل هناك لاخذهما منه فى حالة ما أن يكونا تابعين لكولهاس مقابل دفع النفقات وقيادتهما الى البيت ، غير أن الفارسين كم كانا محرجين لما رأيا جموعا من الناس تتزايد من لحظة لاخرى وقد اجتذبهما هذا الحدث محيطة بالعربة ذات العجلتين التى كان الجوادان مشدودين اليها وهى تتصايح فيما بينها فى غمرة من الضحك المستمر ، ينادون ، هاهى الخيل التى اهتزت أركان الدولة من أجلها قد انتهت الى حانوتى الحيوانات ، غير أن اليونكر بعد أن طاف حول العربة وأمعن النظر فى الجوادين التعسين اللذين كانا كأن الموت يتنمر لهما فى كل لحظة، قال، وقد استبدت به موجة من الحرج ، بأنهما ليسا الجوادين اللذين أخذهما من كولهاس، الا أن هر كونتز الامين القى عليه بنظرة تطفح بالحنق الصامت التى لو كان هو من حديد لفتتته ، ثم تقدم الى الحانوتى ، وقد القى بردائه الى الوراء ، وكشف عن أوسمته وقلادته وسأله عما اذا كانت تلك الخيل هى التى استحوز عليها راعى فيلسدروف وأنها الخيل التى يطالب صاحبها اليونكر فنتسيل فون ترونكا بها أمام المحاكم هناك، فقال الحانوتى الذى كان يحمل دلوا فى يده ومنهمكا فى سقى جواد

دسم يلوح عليه طيب العلف والذى كان يقود عربته ، قال «الاسوداز» وبعد أن وضع الدلو ونزع السرج من فم الجواد قال « أن الجوادين المشدودين الى العمود الجانبى للعربة باعهما له راعى الخنازير فى هاينيشين ، وأنه لايعلم ، من أين له بهما ،وعما اذا كانا قد أتيا من راعى فيلسدروف، ثم قال ، وهو يتناول الدلو ثانية ويحشره ما بين ركبته وعريش العربة ، بأن رسولا من محكمة فيلسدروف أبلغه أن يذهب بهما الى درسدن الى بيت أسرة فون ترونكا ، غير أن اسم اليونكر الذى أرسل اليه هوكونتز ، وأثناء هذه الكلمات استدار بفاضل الماء ، الذى تركه الجواد فى الدلو وسكبه على بلاط الشارع ، ولم يفلح الامين، الذىكانت ترشقه باستمرار نظرات الشعب الضاحك المتهكم المحيط به ، فى التأثير على هذا الشخص الذى كان دائبا على تأدية عمله فى نشاط آلى ، فى أن ينظر اليه ، فقال له ، بأنه الامين كونتز فون ترونكا ، الا أن الجوادين اللذين عليه أن يأتى بهما ، يجب أن يكونا خاصين باليونكر ابن عمه ، وأن يكونا قد هرب بهما خادم أثناء احتراق قصر ترونكنبورج، وأتى بهما الى راعى فيلسدروف ، وأنهما هما أصلا ملك لكولهاس

تاجر الخيل ! ، ثم سأل هذا الشخص ، الذى كان واقفا بساقيه منفرجتين ، يشد سرواله الى أعلا ، عما اذا كان لايعلم شيئا عن ذلك ، وعما أن يكون راعى الخنازير فى هاينيشين ، ربما قد ابتاعهما ، وهذا بيت القصيد ، من راعى فيلسدروف ، أو من شخص ثالث ، يكون هو قد اشتراهما منه ، ــ فقال الحانوتى ، وهو واقف الى جانب العربة يتبول ، بأنه كلف بالمجىء بالخيل السوداء الى درسدن ، ليتسلم نقوده من أجلها ، من بيت أسرة فون ترونكا ، وأما هو ، فلا يفهم ما يتحدث هو عنه ، وسواء أكان بيتر أو باول يملكانهما قبل راعى الخنازير فى هاينيشين ، أو أن راعى فيلسدروف كان يملكهما فهذا عنده سيان مادام أنهما لم يكونا مسروقين ، ثم مشى يحمل السوط بعرض أكتافه العريضة متجها الى مشرب واقع بالميدان غرض أن يتناول طعام الفطور لانه كان جوعان ، ولم يدر الامين البتة ، ما الذى يفعله بالخيل التى باعها راعى خنازير هاينيشين الى حانوتى دوبيلن لو اتضح أنها ليست الخيل التى ركبها الشيطان واخترق بها سكسونيا ، ولذا فانه طلب الى اليونكر ان يقول شيئا ، فلما قال له بشفاه شاحبة ترتجف ، بأنه يرى

من الاحسن أن تشترى الخيل السوداء سواء أكانت هى خيل كولهاس أم لم تكن ، تراجع الامين من وسط جموع الشعب ، وهو ينزل اللعنات على أبيه وأمه اللذين ولداه ، ملقيا بردائه الى الخلف ، لايعرف اطلاقا ما الذى يعمله وما الذى يتحاشاه ، ونادى البارون فون فنك أحد معــارفه الذى كان يخترق الشــارع ممتطيا صــهوة جواده ، وبقى يعنـــاد فى مكانه لايريد أن يغادره ، لان الدهماء تحــدته بنظرات تهكمية ، واضعة منديلا على فمها ، ولاح أنها لم تكن تنتظر الا ابتعاده لتنفجر ضاحكة، فلما دنا منه رجاهأن يتوجه الى المستشار الكبير فون فريدا ، ويرجوه أن يتوسط ويقنع كولهاس أن يوافيه الى هناك ليرى الخيل الســوداء بنفسه ، وتصادف لما دخل البارون غرفة المستشــار الكبير للغرض المذكور توا أن كان كولهاس موجودا ، الذى كان قد دعى برسول من المحكمة من أجل بعض بيانات خاصــة بالودائع التى تركها فى ليتسن التى كانت فى حاجة اليها منه، فقام المستشــار الكبير واقفا بوجه متبرم مــن كرسيه ذى المساند وترك تاجر الخيل ــ الذى كانت شخصيته مجهولة للبــارون ــ بالاوراق التى كان ممسكا بها فى يده واقفــا

جانبا ، ليشرح له البارون المأزق الحرج المنغمس فيه السادة فون ترونكا ، وأن جانوتى دوبيلن جاء بالخيل بنفسه ، بسبب مطالبة محاكم فيلسدروف الناقصة ، وأن الخيل فى حالة لم ترع فيها حرمة الله ، بحيث أن اليونكر فنتسيل اضطر أن يتلكأ فى الاعتراف بأنها خيل كولهاس، فاذا رغب فى أخذها من الحانوتى لمحاولة تجربة اعادتها الى قوتها فى حظائر الفرسان النبلاء فلا بد أن يفحصها كولهاس قبلا بنظرة لازالة الشك باليقين من أمرها ، وختم حديثه بقوله « فهل تتكرمون بأن تستدعوا تاجر الخيل من منزله بواسطة الحرس وتجعلوه يرافقه الى السوق حيث تقف الخيل هناك » ، فقال له المستشار الكبير وهو يرفع نظارته من فوق أنفه ، بأنه انغمس فى خطأين ، أولا أن يظن أن هذا الظرف الذى تحدث عنه لا يستلزم الا فحصا نظريا من كولهاس ليبت فيه، ثانيا أن يتخيل أنه المستشار له السلطة أن يبعث بكولهاس تحت حراسة الى مكان رغبت مشيئة اليونكر أن يؤتى به اليه ، ومع ذلك فقد قدم المستشار تاجر الخيل اليه الذى كان واقفا من خلفه ، ورجاه وهو يتخذ مقعده ويعيد النظارة الى أنفه أن يتجه اليه شخصيا فى هذا الموضوع ، ـ فقال

كولهاس من غير أن يشى بتعبير من وجهه عما يدور فى أعماق نفسه ، على أنه مستعد أن يتبعه الى السوق لرؤية الجوادين الاسودين اللذين أتى بهما الحانوتى الى المدينة ، ثم تقدم الى مائدة المستشار الكبير فى الوقت الذى استدار اليه البارون يغمره الحرج ، وقدم له من أوراق حافظته عدة بيانات خاصة بالودائع فى ليتسن ، ثم استأذن منه كما فعل البارون أيضا ذلك والذى كان خلال ذلك قد اتجه الى النافذة وقد علت وجهه كله حمرة ، وخرج الاثنان يرافقهما الجنود الثلاثة المرتزقة الذين وضعهم الاميرفون مايسن لملازمة تاجر الخيل ، وتبعهما جمع غفير من الناس الى ميدان القصر ، وكان الامين هر كونتز يفرض نفسه بصلابة فى مكانه بين جموع الشعب أمام حانوتى دوبيلن رغم نصيحة بضعة من أصدقائه الذين تجمعوا فى تلك الاثناء حوله ، وبمجرد أن أقبل البارون يرافقه تاجر الخيل تقدم منه هر كونتز ، وهو قابض على سيفه تحت ابطه فى كبرياء وعظمه ، وسأله عما أذا كان الجوادان الواقفان خلف العربة هما جواداه ، استدار تاجر الخيل فى تواضع نحو السيد الذى وجه اليه السؤال ، والذى كان هو يجهل شخصيته وحياه بقبعته ،

ثم تقدم الى عربة الحانوتى من غير أن يجيبه يرافقه جميع الفرسان والقى بنظرة عابرة من مكان وقف فيه على بعد اثنتى عشرة خطوة من الجوادين اللذين كانا واقفين على ساقين متراخيتين برأسيهما مطأطأين الى الارض لايقربان التبن الذى وضعه الحانوتى أمامهما ، ثم استدار ثانية الى الامين وقال له « أيها السيد المبجل ! الحانوتى على حق تماما، فالجوادان المشدودان الى عربته هما جواداى» ثم جال بنظره فى حلقة السادة المحيطة به بأسرها وحياهم بقبعته مرة أخرى وترك المكان يرافقه الحرس ، وعندما سمع الامين هذه الكلمات أقبل بخطى سريعة ، هزت مجموعة الريش التى تعلو خوذته ، نحو الحانوتى والقى اليه بكيس ملىء بالنقود، وفى الوقت الذى كان هذا يسرح شعره بمشط من الرصاص ليرفعه من على جبينه ويلقى به الى الوراء ويتأمل النقود ، أمر الامين خادما أن يحل الجوادين من العربة ويقودهما الى البيت ، وأسرع الخادم فى الواقع أيضا على نداء سيده من وسط زمرة من الاصدقاء والاقارب الذين كانوا له بين جموع الشعب ، نحو الجوادين ، وخطا من فوق كومة كبيرة من الروث كانت قد تراكمت حول حوافرهما وقد احمر وجهه

قليلا ، غير أنه لم يكد يمسك برسنهما ليحلهما حتى أسرع المعلم هيمبولدت ابن عمه .وأمسكه من ذراعه قائلا «أنت لن تلمس رمم الحانوتى ! » ودفعه بعيدا عن العربة ، وبعد ذلك التفت الى الامين الذى ألجم الحادث لسانه وهو يتعثر فى كومة الروث واستطرد قائلا بأنه يجب عليه أن يبحث له عن خادم حانوتى ليؤدى له خدمة كهذه ! وثارت ثائرة الامين ، فأرغى وأزبد وألقى بنظرة قصيرة على المعلم ، ثم استدار وصاح فوق رؤوس الفرسان الذين كانوا محيطين به طالبا الحرس ، وجاء ضابط فى الحال من القصر يرافقه بضعة من حرس الامير الناخب بناء على طلب البارون فون فنك ، فطلب اليه الامين ، بعد أن أوضح له بايجاز الاثارة المخزية التى يسمح مواطنو المدينة لانفسهم بها ، أن يلقى القبض على المثير المعلم هيمبولدت واتهم المعلم وهو يمسك بصدره بأنه قذف بخادمه بعيدا عن العربة ، الذى كان قد أمره بأن يحل الجوادين الاسودين منها وأساء اليه ، وبحركة لبقة خلص المعلم نفسه من الامين وأبعده عنه ، ثم قال له « أيها السيد المحترم ! اذا بين لشاب فى العشرين من عمره ما هو الواجب عليه أن يعمله ، فلا يمكن أن يقال ، أن هذا

تحريض على العصيان، فلتسألوه عما اذا كان يود أن يتدخل، مخالفا بذلك العرف واللياقة ، فى الخيل المشدودة الى العربة فاذا وافق على ذلك بعد الذى قلته أنا ، فليكن وعنى أنا فليذبحها وليسلخ جلدها !» وعند ذلك التفت الامين الى خادمه وسأله ،عما اذا كان لديه أية معارضة فى تنفيذ أمره، بأن يحل رسنى الجوادين اللذين كانا ملكا لكولهاس ويقودهما الى البيت ، فلما أجابه الخادم بنوع من الحياء، وقد اندمج وسط الاهالى ، بأنه يجب أن يسوى أولا مركز الجوادين على أساس شريف قبل أن يطلب اليه ذلك ، اندفع الامين ونزع قبعته التى كانت محلاة بشارة بيته وداسها بأقدامه ، ثم سحب سيفه من غمده وطارده توا بضربات غاضبة بظاهر النصل ، من ميدان القصر ومن خدمته ، فصاح المعلم هيمبولدت «القوا بالسفاح الى الارض !» وثارت الاهالى ساخطة من هذا التصرف وتجمعوا ودفعوا الحرس الى الوراء، وفى تلك الاثناء طرح هو الامين من الخلف الى الارض ونزع منه رداءه وبنيقته وخوذته ، كما انتزع السيف من يده وطوح به بأطاحة غاضبة الى ما بعد رحبة الميدان ، نادى اليونكر فنتسيل

عبثا ، بعد أن نجا بنفسه من الشعب ، أن يهيب بالفرسان أن يهبوا لنجدة ابن عمه ، غير أنهم قبل أن يتاح لهم اتخاذ أى خطوة ، كانوا قد شتتوا من تدفق الشعب ، بحيث أن الامين، الذى جرح رأسه عندما سقط على الارض ، كان فريسة سخط الشعب ، ولولا أن ظهرت فصيلة من الجند الراكب كانت تمر مصادفة عبر الميدان والتى دعاها ضابط حرس الامير الحاكم لمساعدته ، لما أمكن انقاذ الامين ، وبعد أن طارد الضابط جموع الشعب ألقى القبض على المعلم الحانق ، وفى أثناء ما قاده بعض الجند الراكب الى السجن ، التقط صديقان الامين المنكود من الارض وكان ملطخا بدمائه ورافقاه الى بيته ، وانتهت المحاولة الشريفة التى كانت تحدوها النية الطيبة لاسترضاء تاجر الخيل من أجل ما أحاق به من ظلم بمثل هذه النهاية المفجعة ، ولما كان حانوتى دويلن غير راغب فى أطالة أقامته ، ولا سيما بعد أن انتهت الصفقة بالنسبة له وبدأت جموع الشعب تتفرق، عمد الى ربط الجوادين فى عامود مصباح الشارع بحيث بقيا طول اليوم من غير أن يرعاهما أحد ، محط سخرية غلمان الشارع والمتسكعين ، حتى أن الشرطة

اضطرت أن تتولى أمرهما بسبب انعدام خدمتهما ورعايتهما
وعندما أقبل الليل بعثت فى طلب حانوتى درسدن للحيوانات
ليعنى بهما فى محل عمله عند مشارف المدينة لحين صدور
تعليمات اخرى •

أثار هذا الحادث والذى لا ذنب لتاجر الخيل فيه ،
شعورا فى منتهى الخطورة على نتيجة قضيته فى البلاد
وايضا حتى بين الطبقة المعتدلة والطبقة الراقية ، ورأى
الناس أن موقف هذا الرجل من الدولة أصبح لا يحتمل
للغاية واتجه الرأى الذى كان يتحدث به علانية فى البيوت
الخاصة وفى الاندية العامة ، أنه من الخير أن يكون تاجر
الخيل ضحية ظلم علنى ، وأن تلغى القضية برمتها مرة
أخرى ، عن أن ينال عدالة فرضها هو بأعمال العنف من
أجل موضوع تافه ، كل ذلك ارضاء لعناده الجنونى ،
واكتملت الطامة الكبرى لكولهاس التعس لما ساعد
المستشار الكبير بنفسه عفوا فى تدعيم هذا الشعور ونشره
بأمانته الفائقة وكراهيته التى نشأت عنها لاسرة فون ترونكا
وكان فى حكم غير المرجح جدا أن يمكن أبدا أعادة الجوادين
والذى تولى أمرهما الآن حانوتى درسدن ، الى حالتهما

الصحية التى كانا عليها حينما غادرا حظيرة كولهازنبروك حتى اذا سلم جدلا أنه أمكن أعادة قوتهما أليهما بطريقة فنية وبموالاة رعايتهما ،فأن العار الذى سيلحق بأسرة اليونكر بسبب ذلك نتيجة للظروف القائمة ، يكون جسيما بدرجة أنه لاح ، بالنسبة لوجاهة أسرة اليونكر فى المجتمع التى تعتبر من أولى الاسر فى البلاد ومن أنبلها ، لاح أن الاعدل والانسب لو مهد لتأدية تعويض مالى عن الخيل ، وبعد بضعة أيام أرسل الرئيس جراف كالهايم خطابا الى المستشار الكبير يقترح فيه حلا بهذا المعنى معروضا من الامين الذى عاقه مرضه عن القيام بذلك، وأرسل المستشار الكبير عقب ذلك خطابا الى كولهاس ينصحه أن لا يرفض عرضا كهذا اذا جاء اليه ، أما المستشار الكبير شخصيافبعث اليه بخطاب يرجوه فيه فى عبارة مقتضبة شحيحة المجاملة فى أسلوبها أن يعفيه مستقبلا بتكليفات خاصة فى هذه القضية كما طلب الى الامين أن يتصل بنفسه رأسا بتاجر الخيل الذى وصفه المستشار الكبير بأنه رجل عادل جدا ومتواضع ، لقد كان هذا الحادث الذى وقع فى السوق فى الواقع سببا فى انهيار عزيمة تاجر الخيل ، بحيث أصبح

يترقب، عملا بنصيحة المستشار الكبير، - أن يفاتحه اليونكر أو أقاربه ، ليبين لهم أنه على استعداد تام ليتسامح معهم والصفح عن كل ما جرى ، غير أن الفرسان النبلاء رأوا فى هذا العرض بالذات جرحا لكبريائهم ، اذا هم أقدموا على عمله ، ولا سيما بعد أن أثار حنقهم الرد الذى بعث به المستشار الكبير أليهم ، وقد بسطوا ذلك لامير البلاد الذى جاء فى صبيحة اليوم التالى ليعود الامين الذى كان مستلقيا فى مخدعه بسبب جراحه ، وسأل الامين بصوت متهدج يثير العطف بسبب حالته عما اذا كان يود أيضا أن يعرض شرفه أمام العالم للوم ، بعد أن جازف بحياته ارضاء لمشيئته ، فى أنهاء هذه المشكلة وذلك ، بأن يتقدم برجاء من أجل التسوية والاستسلام لرجل أسكب كل أنواع الاذلال والعار عليه وعلى أسرته، سأل الامير الحاكم وهو فى حرج جراف كالهايم، بعد أن قرأ الخطاب، عما اذا كانت المحكمة ليست لها السلطة ، من غير أن تتفاهم مع كولهاس ، على أساس أن الخيل لا يمكن أن تعاد الى حالتها السابقة ، وبناء عليه يكون الحكم كما لو أنها قد ماتت ، وأن يصدر عن تعويض مالى عنها فقط ، فأجاب الجراف : «أيها السيد

الرحيم ، أنها حقا ميتة : ، أنها فى معنى قانون الدولة ميتة لانها لا قيمة لها ، وستكون جسميا كذلك الى أن تعاد من حظيرة الحانوتى الى حظائر الفرسان » وأجاب الامير الحاكم على ذلك وهو يدس الخطاب فى جيبه ، بأنه سيتحدث فى ذلك مع المستشار الكبير ذاته، وهدأ من روع الامين الذى اعتدل جزئيا فى فراشه وأمسك بيده شاكرا، وبعد أن أوصاه أيضا بأن يعنى بصحته قام الامير من مقعده ذى المساند يحدوه عطف كثير عليه وترك الحجرة .

كان هذا هو الموقف فى درسدن عندما تجمعت زوبعة أخرى راعدة من ليتنسن أكثر خطورة فوق كولهاس التعس والتى قادها الفرسان النبلاء بكل خديعة وخبث ليسقط شرر وميضها على رأسه ، كان يوهان ناجلشميدت واحدا من الجنود المرتزقة الذين جمعهم تاجر الخيل وفصلهم بعد ظهور عفو الامير ، غير أنه بعد بضعة أسابيع ترآى له من الصالح أن يمتهن المهنة التى أذاقه كولهاس طعمها ويستمر فيها لحسابه ، فعمد من جديد الى جمع جزء من الاشرار من على الحدود البوهيمية من هؤلاء الذين لا يتورعون عن ارتكاب أمر أعمال الخزى وأخجلها ، وأطلق

هذا الشخص عديم النفع على نفسه لقب ، نائب كولهاس وذلك غرض أن يطلق من ناحيته الرعب فى نفوس الرقباء من رجال الشرطة الذين كانـوا يطاردونه ، ومن ناحيـة أخرى ، أملا فى أن يغرر بشعب الريف بالطريقة المعهودة ، وذلك بمشاركته فى لصوصيته ، أذاع ناجلشميدت بقبس من ذكاء سيده ، أن عفو الامير تنكر لكثـير من الجنـود المرتزقة الذين عادوا الى بلادهم تحدوهم الطمأنينة ، حتى كولهاس نفسه حنث أولو الشأن فى العفو الذى صدر له خبثا يتطاول الى عنان السماء عندما وصل كولهاس الـى درسدن ، فقد اعتقل ووضـع تحت الحراسـة ، وكانت منشوراته شبيهة تماما بمنشورات كولهاس ، تلوح كما أن شرذمته من السفاحين أنما تناضل فقط لتمجيد الله ومـن أجل السهر على تنفيذ الصفح الذى وعدهم به أمير البلاد وفى الواقع أن هذا كله كما قيل قبلا لايمت البتة لا لتمجيد الله ولا تعلقا بكولهاس الذى ما كان ليهمهم مصيره لا من قريب ولامن بعيد، ولكن قصد أن يستطيعوا الحرق والسلب والنهب وهم فى مأمن من العقـاب فى ظل هـذا التمـويه والخداع ، ولم تكد الانباء الاولى ترد الى درسدن عـن

ذلك حتى لم يتمالك الفرسان النبلاء كتمان فرحهم ، اذ أن هذا الحدث أعطى المشكلة وجها آخر ، فذكروا الخطأ الذي ارتكب فى تلميحات متزنة وبامتعاض ، بأن تجوهل تحذيرهم الشديد المتكرر فى اصدار العفو عن كولهاس، كما لو أن النية كانت مبيتة لافساح المجال وأعطاء الاشارة لاوغاد من كل لون أن يقتفوا أثره،كما أنهم كانوا غير راضين عن أن يكون ادعاء ناجلشميدت بأنه لم يركن الى السلاح الا لسند سيده المظلوم وسلامته ، أهلا للتصديق، بل على النقيض نادوا بالرأى بالذات بأن ظهوره الكامل ان هو ألا خطة مدبرة من كولهاس لاجل أن يرعب الحكومة، وأن ينفذ قرار طلب الحق بحذافيره وبسرعة طبقا لصلابته الجنونية ، وتمادى الساقى هرهينتز فشبه تسريح عصابة اللصوص فى ليتسن للنبلاء من هواة الصيد ولرجال البلاط الذين التفوا حوله بعد الوليمة فى الرواق الامامى فى قصر الامير الحاكم، بأن هذا التسريح أشبه ما يكون بتمويه لعين ، وبعد أن أخذ يسخر من حب المستشار الكبير الشديد للعدالة ، أثبت فى ظل ملابسات مجتمعة ، أصبغ عليها نوعا من المزاح ، بأن الجنود المرتزقة موجودة كما

كانت داخل غابات الامارة ، وأنها تترقب أشارة من تاجـر الخيل لتنطلق وتستأنف القتال من جديد بالسيف والنار، وأثار تطور المشكلة الذى أصبح يهدد بتلويث عظمة أمـير البلاد فى أدق كيانها، استياء الامير كريستيرن فون مايسن فقصد فورا اليه فى القصر ، وقد استبان اهتمام النبلاء فى اسقاط كولهاس على أساس انتهاكات جديـدة للقانون، ان أمكـن ، وطلب منه الاذن حالا بأن يســمح له بطلب استجواب تاجر الخيل ، واقتيد تاجر الخيل ، وليس بدون استغراب،بواسطة أحد رجال حرس القصر الى دار الحكومة ووصل الى هناك ، وكان يحمل غلاميه الصغيرين هينريش وليوبولد على ذراعيه ، اذ كان خادمه شترنبالد قد أتى اليه فى اليوم السابق بأولاده الخمسة من مقاطعة ميكلينبورج، حيث كانوا يقيمون هناك ، وقد حتمت عليه خواطر مـن نوع ما ، سارت فى تشعبها شوطا بعيدا ــ وقد رجوه أطفاله عند ابتعاده عنهم ، وقد انسكبت دمـوع الطفولة ــ أن يرفعهم ويأخذهم معه الى الاســتجواب ، جاء كولهـاس وأجلس أطفاله الى جواره ، فنظر اليهم الامير بروح طيبـة وسألهم بتودد عن أعمارهم وأسمائهم ، ثم فاتح كولهاس

فيما انتزعه ناجلشميدت تابعه السابق من الخرية فى وديان جبال الارتز ، وقدم اليه المسماة منشوارته وطلب اليـه أن يقدم ضد ذلك ما يستطيع أن يقدمه بما يبرىء به نفسه واستبدت بتاجر الخيل فى الواقع موجة من الذعر الشديد، حينما اطلع على هذه الصفحات المخزية والتى تنم عن الخيانة غير أنه لم يجد صعوبة لان يثبت بصفة مرضية لرجل مخلص كالامير ، أن هذه الاتهامات التى سيقت اليه لا تستند الى أساس البتة ، وأنه نتيجة لتفسيره كما هى الامور قائمة ، لا يحتاج الى مساعدة من جانب آخر للبت فى قضيته، التى كانت تسير فى أحسن طريق لحلها ، وحتى من بعض الوثائق التى كان يحملها معه والتى قدمها للامير استبانت عـدم أرجحية فذة الطابع ، بأن نية ناجلشميدت يمكن ان تكون متأهبة لمساعدته، بدليل أنه كان فى يوم ما قبل تسريح جيشه مباشرة فى ليتسن ، عازما على أعدامه شنقا بسبب انتهاك عرض فى الريف وأعمال أخرى قذرة ، وأنه لم ينقذه من الاعدام ألا فقط صدور عفو الامير ، أذ أن هذا العفو أنهى العلاقة كلها ، وأنهما افترقا عقب ذلك وهما أشد ما يكونان عداء ، واقترح كولهـاس ــ ووافق الامـير على ذلك ــ

فجلس وأصدر منشورا الى ناجلشميدت ، فيه أن ادعاءه
بأن نضاله هو لتدعيم العفو الذى نكث معه ومع جيشه
ان هو الا افتراء قذر دنىء ، وبأنه حينما وصل الى درسدن
لم يعتقل ولم يوضع تحت حراسة وأن قضيته تضطرد فى
سيرها كما يشتهى تماما ، وأنه بأعمال القتل وأشعال النيران
التى ارتكبها فى جبال الارتز بعد أعلان العفو ، قد أسلم
نفسه تماما لاقتصاص القانون منه ، وهو تحذير فى نفس
الوقت للدهماء التى انضوت تحت لوائه ، كما ألحق فى
منشوره بعض مقتطفات من محاكمة ناجلشميدت الجنائية التى
أقامها تاجر الخيل فى قصر ليتسن ضده عن المخازى التى
أشير اليها آنفا ، ليحيط الشعب علما بهذا الشخص عديم
الفائدة ، والذى كان مصيره المشنقة فى ذاك الحين لولا كما
سبق أن ذكر أنقذ بسبب المنشور الذى أصدره الامير
الحاكم ، وعندئذ طمأن الامير كولهاس على الشبهة التى
اضطر أن يصارحه بها فى هذا الاستجواب تحت ضغط
هذه الملابسات ، وأكد له أن العفو الذى منحه لن يسترد
بأى حال من الاحوال ، ما دام هو باقيا فى درسدن، ثم قدم
لاطفاله فاكهة، من تلك التى كانت موضوعة على خوان

أمامه، ومد يده لهم مرة أخرى مسلما كما حيا كولهاس، ثم سمح له بالانصراف ، رأى المستشار الكبير أن نذيرا بالخطر يتجمع فوق رأس كولهاس ، فبذل غاية جهده فى السير بالقضية حثيثا الى نهايتها خوفا من انطلاق أحداث جديدة تشتبك بها وتربكها ، غير أن هذا بالذات ما كان الفرسان النبلاء المحنكون فى شئون الدولة يرغبون فيه ويسعون اليه ، وبدلا من أن يقصروا مقاومتهم فقط على حكم مخفف باعتراف ضمنى بالذنب كما فعلوا قبلا ، بدأوا الآن ألاعيب لحمتها الخبث والخداع ويشوبها الحق، بأن يتنكروا لهذا الذنب بالذات كلية ، وادعوا مرة أن خيل كولهاس السوداء أنما احتجزها أمين القصير ومدير شئونه فى ترونكنبورج بعمل من تلقاء نفسيهما، الذى لم يكن اليونكر يعلم عنه شيئا أو على دراية ناقصة به ، ومرة أخرى أكدوا أن الخيل كانت عند مجيئها مصابة بسعال شديد خطير ، واستشهدوا على هذا القول بشهود كانوا مستعدين للمجىء بهم، فلما قضى على ادعائهم بعد تحقيق واسع ونقاش دقيق تقدموا بمرسوم أميرى صدر منذ اثنتى عشرة سنة يمنع استيراد الخيل من مقاطعة براندنبورج الى مقاطعة سكسونيا

بسبب وجود وباء ، وطبقا للدليل الواضح كالشمس، ليس
لليونكر السلطة فقط ، بل الواجب عليه أن يوقف الخيل
التى أتى بها كولهاس الى الحدود ، وكان كولهاس فى تلك
الأثناء قد استرد ضيعته فى كولهازنبروك من المأمور الامين
بعد أن أدى أليه تعويضا ضئيلا عما أصـــابه من خســـارة
بسبب هذا الاسترداد ، ويلوح أن كولهاس كان يرغب فى
مغادرة دوسدن لبضعة أيام والذهاب الى بلدتـــه لاتمـــام
أجراءات قضائية استلزمتها هذه العملية ، وكما اننـــا لا
نتشكك بأن أقل أن يكون الذى دعاه الى هذا القرار هو
تلك العملية المذكورة ، التى كان ظاهرا تلح فى الواقع على
تجهيز الارض لبذور الشتاء، من أن تكون النية ، أن يتبين
موقفه تحت ظروف غريبة مقلقة كهذه ، وربما تكون هناك
أيضا عوامل من نوع آخر لها تأثير على هذا القرار، نترك
التخمين فيها لكل من يدرك ما كان يدور بخلده، وعلى ذلك
فأنه ترك حراســـه الذين كانوا مخصصـــين له وذهب الى
المستشار الكبير ، وفاتحه وهو ممسك بخطابات المأمـــور
فى يده بأنه يرغب ، فى حالة ما أن تكون المحكمة فى غـــير
حاجة ملحة اليه وكما يلوح ذلك ، فى ترك المدينة والسفر

الى أقليم براندنبورج ، لفترة تتراوح من ثمانية الى أثنى عشر يوما ، ووعد بأن يعود فى غضونها ، فقال له المستشار الكبير ، وعدم الرضي والتفكير الجدى باديان على محياه وقد أطرق برأسه ، بأنه لا بد له من أن يصارحه بأن وجوده الآن بالذات أهم من أى وقت مضى ، ولا سيما أن المحكمة قد تحتاج اليه فتدعوه لتستمع الى أجابته وشرحه لامور لا حصر لها ، قد يحملها عامل المفاجأة من خصومه المنكبين على المعارضة بكل ألوان المكر والالتواء ، الا أن كولهاس تمسك برجائه فى ألحاح مستطاب؛ وأنه وعد أن يقصر فترة غيابه على ثمانية أيام ، وأحاله على محاميه الذى يلم بقضيته جيدا ، وعند ذلك قال له المستشار الكبير بعد فترة صمت بأيجاز، وذلك قبل أن يسمح له بالانصراف ، بأنه يأمل بأن يتوجه الى الامير كريستيرن فون مايسن ، وأن يرجوه فى أن يمنحه جوازات مرور من أجل ذلك ـ ، وأدرك كولهاس جيدا المعنى من تعبير وجه المستشار الكبير ، وجلس فى الحال ، وما زاده ذلك الا تصميما على قراره ، ورجا الامير فون مايسن كتابة بصفته رئيسا للحكومة فى أعطائه جوازات مرور لمدة ثمانية أيام للذهاب الى كولهازنبروك والعودة

منها ، بدون أن يبدى أى سبب ، فورد اليـه ، ردا على خطابه ،قرار حكومى ممضى من رئيس القصـر البـارون زيجفريد فون فنك هذا فحواه : طلبه لجوازات مرور الى كولهازنبروك سيعرض على سمو الامير الحاكم ، وبمجرد أن تصل موافقته السامية سترسل اليه جـوازات المرور ، فلما استفسر كولهاس من محاميه عن السبب فى أن قـرار الحكومة ممضى من البارون زيجفريد فون فنك وليس من الامير كريستيرن فون مايسن الذى وجه اليه خطابه، فرد عليه محاميه بأن الامير سافر منذ ثلاثة أيام الى ضـياعه ، وسلمت أذ ذاك مقاليد الاداة الحكومية أثناء فترة غيـابه الى رئيس القصر البارون زيجفريد فون فنك، وهو ابن عم لبارون بنفس اللقب ، سـبق أن ورد ذكره ، ــ غير أن كولهاس طفق ينتظر بصبر عدة أيام بت أمير البلاد فى طلبه الذى قدم اليه بطريقة غريبة ملتوية ، وكان القلق قد بدأ يستبد به تحت ضغط كل هذه الظروف ، ومر أسـبوع وأكثر من غير أن يبت فى طلبه ولا أصدرت المحكمة حكمها ولو انه آكد له بأنه سيصدر ، حتى أنه اعتـزم فى اليـوم الثانى عشر أن يكشف شعور الحكومة قبالته مهمـا كان

لونه ، فجلس ورجا الحكومة من جديد فى طلب ملح فى صرف جوازات المرور التى سبق أن طلبهـا ، وكم كان فى حيرة مؤلمة عندما تقدم فى مساء اليوم التـالى ـ والذى انقضى أيضا من غير أن يصله الجواب المنتظر ، وكان ينتابه تفكير عميق فى كنه موقفه وعلى العفو الذى استصدره له الدكتور لوتر ـ تقدم يخطو نحو نافذة غرفته الصغيرة الخلفية فلم ير الحرس ، الذى كان الامير فون مايسن قد عينه لـه عند قدومه، فى المبنى الصغير المجاور لداره والقائم فى فنائه والذى كان كولهاس قد أعطـاه له لاقامته فيـه ، نـادى كولهاس توماس خادم البيت العجـوز وسـأله «ما معنى هذا ؟» فأجاب بتنهد : «أيها السيد ! ليست كل الامـور كما يجب أن تكون ، لقد تفرق الجند الذين زاد عـددهم اليوم عن المعتاد عند حلول الليل حول البيت كله ، فاثنان منهم واقفان مسلحان بالدرع والحربة على الباب الامامى المطل على الشارع ، وآخران يلازمان الباب الخلفى المطل على الحديقة، واثنان آخران يضطجعان على كومة من القش فى الدهليز ، ويقولان بأنهما سيناماان هناك» ، فاستدار كولهاس ، وقد شحب لونه وأعقب يقول ، بأن هذا سيان

ما داموا موجودين ، ويود ، بمجرد أن تطأ قدماه أرضية الدهليز ، ان يضع مصباحا للجند حتى يستطيعوا الرؤيا، وتظاهر كولهاس برغبته فى أفراغ أناء وفتح الضلفة للنافذة الامامية ، وبعدما تحقق بنفسه من واقع الحال الذى كشفه له العجوز ــ وحتى نوبة خدمة الحــرس غيرت فى هــذه اللحظة بالذات فى سكون تام ، ولم يفكر أحــد فى هــذا الاجراء حتى الآن طول مدة أقامة هذا النظام ــ اســتلقى كولهاس بعد ذلك على فراشه ، مع أنه لم يكن راغبا فى النوم وكان قد انتهى من اتخاذ قراره لليوم التالى ، وانه لا شىء أحب اليه من أن لا تحظى الحكومة ، والمرتبط هو بهــا، بمتعة التظاهر بالعدالة ، فى حين أنها فى الواقع نقضت العفو معه الذى وعدته به ، وأنه اذا كان سجينا حقا ، الامر الذى أصبح لا يشك فيه ، فأنه يرغب أيضا فى أرغام الحكومة الى بيان صريح لا التواء فيه، بأن هذا هو الواقع، وتمشيا مع ذلك أمر خادمه شترنبالد عند انبلاج صبح اليوم التالى أن يشد له عربته ويأتى بها اليه ، وأراد أن يستقلها تحت ستار رغبته فى أن يؤدى زيارة للوكيل فى لوكيفتز ، الذى كان قد تحدث معه فى درسدن لبضعة أيام مضت ، ودعاه

كصديق قديم لزيارته مرة صحبة أولاده ، وبعثت هذه حركة داخل البيت أثارت انتباه الجند الذين تهامسوا فيما بينهم ، وبعثوا بواحد منهم خفية الى المدينة ، ولم تمض دقائق معدودة حتى أقبل موظف حكومي على رأس نفر من الشرطة ، الى المبنى المواجه متظاهرا بأنه جاء لتأدية عمل فيه، ولم تخف تلك الحركة أيضا على كولهاس، فقد لحظها وهو يلبس أولاده ثيابهم ، وتعمد اذ ذاك أن يدع مركبته تنتظر مدة أطول من الضرورى أمام بيته ، وعندما رأى أن الشرطة قد انتهت من عمليتها ، برز من باب البيت بصحبة أولاده متجاهلا وجودها ، ثم قال لجماعة الحرس ، الذين كانوا واقفين تحت الباب وهو يمر بهم ، بأنه لم يكن هنالك داع لان يتبعوه ، ثم رفع أولاده الى داخل العربة ، وأما بناته الصغيرات ، اللواتى كن يبكين ، فقد قبلهن وشجعهن على البقاء طبقا لامره بصحبة ابنة خادم بيته العجوز ، ولم يكد كولهاس يدلف الى داخل العربة حتى أقبل الموظف الحكومى بحاشيته من الشرطة من داخل المبنى المقابل، وتقدم يسأله ، الى أين هو ذاهب ؟ فقال له كولهاس بأنه ذاهب لصديقه المأمور ، الى لوكيفتز ، الذى دعاه وولديه

للنزول عنده فى الريف لبضعة أيام مضت ، وعند ذلك قال له الموظف الحكومى بأنه فى هذه الحالة ، يجب أن ينتظر قليلا حتى يهيىء له بعضا من الجند الراكب لمرافقته طبقا لاوامر الامير فون مايسن ، فسأله كولهاس من داخل العربة مبتسما ، عما اذا كان يعتقد أن شخصيته ليست فى أمان فى بيت صديق دعاه يوما ليقيم له وليمة ، فقال له الموظف فى روح من المرح واللطف ، حقيقة ان الخطر ليس كبيرا ، ثم أردف يقول ، وأن الجند أيضا لن يكونوا بأى حال من الاحوال عبئا عليه ، فرد كولهاس بروح من الجدية قائلا ، بأن الامير فون مايسن ترك له حرية قبول الحرس من عدمه عند قدومه الى درسدن ، وعند ذلك أظهر الموظف دهشته من هذا الوضع ، وأفصح له بأسلوب من الحرص فى القول ، مستشهدا بما كان يؤديه الحرس طول مدة اقامته ، وعند ذلك قص عليه تاجر الخيل الحادث الذى دعا الى أقامة حرس له فى بيته ، وأكد الموظف له أن أوامر رئيس القصر البارون فون فنك الذى هو حاليا رئيس الشرطة ، هى أنه فرض عليه حماية شخصه الدائمة ، ورجاه فى حالة ما اذا كان لا يود فى السماح بمرافقته ، أن يذهب

بنفسه الى دار الحكومة، ليصلح الخطأ الذى لابد أن يكون قد وقع ، فقال كولهاس للموظف ، وهو يلقى اليه بنظرة لها معناها ، بأنه سيفعل ذلك ، وقرر أن يسير فى الموضوع الى نهايته ، مهما كانت العوامل والنتائج ، ثم نزل من العربة وثورة نفسية تعتمل فى صدره، وأودع الاطفال خادم البيت ليحملهم الى الدهليز ، وترك خادمه واقفا بالعربة أمام البيت ورافق الموظف وحرسه الى دار الحكومة، وتصادف عندما دخل تاجر الخيل مع مرافقيه البهو ، أن كان رئيس القصر البارون فون فنك منشغلا برؤية جماعة من جنود ناجلشميدت التى كان قد أتى بها فى المساء السابق ، والتى كانت قد أسرت فى منطقة ليبزيج ، كما كان الفرسان النبلاء الذين كانوا عنده منهمكين بسؤال هؤلاء الرجال عن أمور عدة، كان يهمهم أن يستمعوا اليها منهم بالذات ، فلما رأى البارون تاجر الخيل اتجه اليه ، فى حين لجأ الفرسان النبلاء الى الصمت فجأة ، وكفوا عن استجواب الجنود المرتزقة، وسأله البارون عما يريده ، فقال له تاجر الخيل فى احترام عن عزمه على الذهاب الى الوكيل فى لوكيفتز ليتغدى عنده ، وأنه يستسمحه فى ترك رجال الحرس ، حيث أنه

ليس فى حاجة اليهم ، فقال له البارون ، وقد تغـير لونه ، وبدا كما لو أنه احتجز كلاما آخر ،« انه يحسن صنعا، اذا هو بقى هادئا فى بيته، وألغى أيضا الوليمة الفخمةمؤقتا عند المأمور فى لوكيفتز»، ـــ وفى خلال ذلك التفت الى الموظف قاطعا الحديث برمته معه ، وقال للموظف بأن يسـتمر فى تنفيذ الامر الذى أصدره اليه كما هو، الخاص بهذا الرجل وأن لا يسمح له بترك المدينة الا فى حراسة ستة جند مـن الفرسان ـ ، فسأله كولهاس ، عما اذا كان هو أسـيرا ، وهل له ان يرى ان العفو الذى وعد به رسميا ، وعلى ملأ من العالم كله ، قد نكث به ، وعند ذلك التفت البـارون فجأة اليه وقد كست وجهه حمرة طاغية ، ودنا منه وأحدق فى عينيه ، وقال له «نعم! نعم! نعم!» ـــ ثم أدار له ظهـره وتركه واقفا فى مكانه ، وعاد ثانية الى جنود ناجلشميدت المرتزقة ، عقب ذلك غادر كولهاس البهو واقتنع أنه صعب على نفسه الطريق الوحيد الذى بقى أمامه للخلاص ، وهو الهروب بسبب الخطوات التى قام بها ، ورغم هذا فأنه لم يندم على عمله ، لانه جعله يرى انه أصبح من جانبه فى حل من التزامه باتباع نصوص العفو ، ولما عاد الى بيته ، أمـر

بحل الخيل ، واتجه صحبة الموظف الحكومي كسير القلب مهدم النفس الى مخدعه ، ورغما من ان هذا الرجل أكـد لتاجر الخيل بطريقة تثير الاشمئزاز فى نفسه ، ان الامر كله لا بد أنه يرجع الى سوء تفاهم الذى سيزول قريبـا ، فأن الشرطة أسرعت بناء على أشارة منه ، الى أحكام أرتجـة منافذ البيت المؤدية الى الفناء ، وفى نفس الوقت أكد لـه الموظف ، ان مدخل البيت الامامى الكبير سيبقى مفتوحا، كما كان تحت تصرفه المطلق .

وفى خلال ذلك ضيق على ناجلشميدت فى غابات جبال الارتز من كل جانب من خدم المحكمـة [1] ورجال الجيش المرتزقة ، حتى أنه خطرت له فكرة أن يحاول حقا أن يثير اهتمام كولهاس للعمل معه، بسبب افتقاره التام الي وسائل التعضيد للقيام بدور كهذا الذى أخذه على عاتقه ، ولمـا كان ناجلشميدت الى حد كبير على علم بتطور قضية كولهاس فى درسدن من مسافر مر به فى طريق رحلته، فأنه اعتقـد أنه رغما من العداء الظاهر القائم بينهما ، أنه من الممكن أن

---

١ ـ كانت تطلق هذه التسمية فى ذاك العهد على رجال الامن والشرطة

يقنع تاجر الخيل ان يقيم علاقة جديدة معه، وعلى ذلك فقد بعث بخطاب أليه فى لغة ألمانية تكاد تقرأ بالكاد ، مع خادم من عنده هذا نصــه : ــ «اذا أراد ان يأتى الى منطقــة التنبورج ويتولى من جديد قيادة الفرقة التى تجمعت هناك من فلول الفرقة السابقة المسرحة ، فأنه على استعداد لأن يساعده على الهروب من معتقله فى درسدن بالخيل والرجال والمال ، ووعده فى نفس الوقت بأن يكون مستقبلا أكثــر خضوعا لطاعته ، وأكثر استقامة ، وأحسن مسلكا عما كان عليه فيما مضى ، وليثبت له أخلاصه وتعلقه به ، أنه سيأتى بنفسه الى منطقة درسدن ليتولى بنفسه أنقاذه من سجنه»، غير أنه حدث لسوء الحظ أن الشخص الذى حمله الخطاب الى كولهاس أصيب بنوع من التشنج المريع ، درج على أن ينتابه منذ الصغر، فى قرية بالقرب من درسدن، وسقط على الارض ، وعثر الناس ، الذين أقبلوا على نجدته بهــذه المناسبة، على الخطاب مندسا فى صديريه، اما هو فقد ألقى القبض عليه بمجرد استرداده لوعيه، ونقل الى دار الحكومة فى حراسة ، ترافقه جموع من الشعب، فلما قــرأ رئيس القصر فون فنك هذا الخطاب ، قصد من فوره الى الامير

الحاكم فى قصره ، حيث وجد السيدين كونتز وهنتـز ــ وكان الاول قد شفى من جروحه ــ ورئيس مستشـارية الدولة جراف كالهايم موجودين فى حضرته، وكان من رأى السادة أنه يجب أن يلقى القبض بلا تردد على كولهـاس بتهمة اتفاقه السرى مع ناجلشميدت ، وأن تقام ضده قضية على هذا الاساس ، مثبتين أن خطابا كهذا لا يمكـن أن يكتب من غير رسالة اخرى سابقة من تاجر الخيل ايضا ، ومن غير أن يكون قد تم اتصال أجرامى جنائى بينهمـا للتآمر على القيام بأعمال ارهابية مريعة من جـديد، رفض الامير الحاكم بأصرار أن ينقض الامان الذى وعده لكولهاس بسبب هذا الخطاب فقط ، بل بالعكس فهو يرى أن خطاب ناجلشميدت ينبىء عن نوع من الارجحية، تتحدث عن عدم وجود اتصال سابق بينهما ، والامر الوحيد الذى قـرره ولو أنه بعد طول تلكؤ، فى هذا الصدد ، وتمشيا مع اقتراح الرئيس ، هو أن يدع الخطاب يسلم الى كولهاس بواسطة الخادم الذى بعث به ناجلشميدت ، وكأنه كان طليقا طول الوقت ، ويترقب عما اذا كان سيجيب عليـه ، وعلى ذلك أقتيد الخادم الذى كان قد أودع السجن فى صبيحة اليوم

التالى الى دار الحكومة ، حيث أعاد اليه رئيس القصر الخطاب ووعده بأنه سيطلق سراحه وسيعفى من العقاب الذى يستحقه ، على أن يقدم الخطاب الى تاجر الخيل كأن شيئا لم يحدث ، وقد انصاع الشخص بلا تردد ليكون أداة لهذا النوع من خديعة قذرة، وسيق الى كولهاس فى مخدعه بطريقة غامضة ظاهرا ، تحت ستار أن عنده سرطان بحرى للبيع ، بعد أن زوده الموظف الحكومى بكمية منه من السوق ، فلما قرأ كولهاس الخطاب ، وكانت أولاده فى تلك الاثناء تلعب بسرطان البحر ، كان من المؤكد أنه فى ظروف أخرى ، كان سيمسك بخناق هذا الوغد ويسلمه الى الجنود المرتزقة الواقفة على بابه، غير أنه رأى، حتى هذه الخطوة أيضا من الممكن أن لا يقام لها وزن فى جو هذه مشاعره فضلا عن أنه كان مقتنعا تماما أنه لا يوجد فى الدنيا أطلاقا شىء يستطيع أن يخلصه من المشكلة التى وقع فيها، ولذلك اتجه بنظرة حزينة الى هذا الشخص الذى كان وجهه معروفا له جيدا ، وسأله عن مكان مقامه ، ثم صرفه على أن يعود أليه بعد بضع ساعات ليسر اليه بقراره فيما يتعلق بسيده ، ثم كلف شترنبالد ، الذى دخل مصادفة عليه، أن يبتاع من

الرجل الذى كان بداخل الغرفة يعض سرطان البحر ، وبعد أن تمت عملية الشراء وخرج الرجلان وهما يجهلان بعضهما جلس كولهاس وكتب خطابا الى ناجلشميدت هذا فحواه: قبل كل شىء أنه يقبل اقتراحه الخاص بتوليه القيادة العليا لفرقته فى منطقة ألتنبورج، وأنه يلزم أرسال مركبة بجوادين الى نويشتات بجوار درسدن، لامكان خلاصه من الاعتقال المؤقت الذى هو معتقل فيه هو وأولاده الخمسة ، كما أنه يلزم ارسال مركبة أخرى مشدودة الى جوادين، أيضاحتى يتقدم فى انتقاله بسرعة أكثر لتنتظره على الطريق المؤدى الى فيتنبرج ، ومن هذه الدورة فقط لاسباب يطول شرحها يستطيع أن يصل اليه ، وأنه يعتقد أنه سيستطيع كسب الجنود المرتزقة التى تحرسه لجانبه وذلك بواسطة أرشائهم ألا أنه لاحتمال ضرورة استعمال القوة، يجب أن يعرف أن هناك حاليا فى نويشتات بجوار درسدن ، زمرة من الجند المرتزقة المقدامة ، الاذكياء والمسلحين جيدا ، وأن يبعث اليه بلفافة بواسطة الخادم تحتوى على عشرين كرونا ذهبا، حتى يستطيع أن يمول نفقات جميع هذه العمليات ، وأنه سيتحاسب معه فى صدد استعمال هذا المبلغ بعد أن تنتهى

العملية ، وإنه يمنعه من الحضور بنفسه عند عملية انقاذه من معتقل درسدن ، حيث أن ذلك غير ضرورى ، بل أنه يصدر أليه الامربالذات ، بأن يبقى فى منطقة ألتنبـورج للاشراف على قيادة الفرقة فى تلك الاثناء ، والتى لا يمكن أن تكون بدون رئاسة ـ ولما عاد الرسول فى المساء سلمه الخطاب وأغدق له العطاء وأوصاه بالحرص الشديد عليه ـ وكانت نيته مبيتة على أن يذهب صحبة أولاده الخمسة الى هامبورج، ومن هناك يستقل الباخرة الى الشرق الادنى أو الى شرق الهند ، أو الى أى بلاد تظلها السماء بزرقتها، حيث تعيش شعوب غير تلك التى يعرفها ، أذ أن نفسه التى حطمتهـا الاحـزان ، قـد يئست مـن أطعـام الخيـل لاسـمانها ، وذلك حتـى أيضـا من غـير أن يـرتبط ذلك باشمئزازه من العمل مع ناجلشميدت ، ـ ولم يكد ذاك الشخص يسلم هذا الرد الى رئيس القصر ، حتى عزل المستشار الكبير من منصبه وعين مكانه الرئيس جراف كالهايم رئيسا للمحكمة ، وقبض على كولهاس وقيد فى أغلال ثقيلة بناء على أمر من ديوان الامير الحاكم ثم حمل ألى أبراج المدينة وأقيمت الدعوى ضده بناء على هذا الخطاب الذى

علق فى جميع أركان المدينة ، ولما سئل كولهاس أمام منصة القضاء ، عما اذا كان يعترف بهذا الخطاب أجاب القاضى الذى واجهه به بـ «نعم!»، الا أنه عندما سئل ، عما اذا كان لديه ما يقــدمه دفاعا عن نفسه ، أجاب وقد أطرق برأســه بـ «لا» وعند ذلك صدر الحكم عليه ، ويقضى بأن يقرضه رجال الجلاد بكلابات متأججة، ويقطع جسده ألى أربع قطع ثم يحرق بين العجلة وآلة الاعدام .

وهكذا كان حال كولهاس البائس فى درسدن عندما برز أمير براندنبورج الناخب لانقاذه من أيدى القوى الغاشمة والاستبداد، وطلب فى مذكرة رسمية موجهة الى مستشارية الدولة هناك تسليمه كفرد من رعايا براندنبــورج ، اذ أن محافظ المدينة الامين هر هينريش فون جويزاو كان قــد أحاطه علما بقصة هذا الرجل الغريب فى نوعــه ، والذى لا يمكن أن ينعت بالشر ، خلال رياضة لهما على ضفاف نهــر الاسبرى ، وبهذه المناسبة لم يستطع تحت ضغط أسئلة سيده المنذهل ، أن يتحاشى ذكر الذنب الذى يجثم عليــه شخصيا ، بسبب الانحراف فى تصــرف مستشاره الاول جراف زيجفريد فون كالهايم ، وعند ذلك استبدت بالامير

موجة من السخط عليه ، وبعث فى طلبه ليطلب اليه أيضاحا فى هذا الموضوع ، فلما ثبت لدى الامير الحاكم أن السبب فى هذا كله يرجع الى صلة القرابة التى تربطه بأسرة فون ترونكا، دمغه بغضبه عليه فى ألوان متعددة وعزله بلا تردد من منصبه وعين هر هينريش فون جويزاو مستشاره الاول

ولكن تصادف أن كان تاج بولونيا فى ذاك الحين بالذات فى نزاع مع البيت الحاكم فى سكسونيا ، ومن أجل أى أمر هذا ما لا نعلمه ، فاتصل بأمير براندنبورج الحاكم أكثر من مرة وفى عجلة ، عارضا عليه الاتحاد معه فى عمل سويا ضد البيت الحاكم فى سكسونيا ، حتى أن المستشار الاول هر جويزاو ، والذى لم يكن فى مثل هذه الامور غير لبق، أمكنه حقا أن يأمل أن يحقق رغبة سيده فى أن ينال كولهاس الانصاف ، مهما كان الثمن ، من غير أن يجازف بهدوء المجموع بشكل أشد حرجا ، عما يمكن أن تسمح به مراعاة فرد ، وبناء عليه لم يطلب المستشار الاول ، ليس فقط ضرورة تسليم كولهاس بلا أبطاء من أجل الاجراء الاستبدادى المطلق، الذى لايرضى الله ولا البشر، لمحاكمته اذا كان هناك ذنب يثقل كاهله ، طبقا لقوانين براندنبورج،

بناء على مواد اتهام ، يستطيع أن يقيمها بلاط درسدن من أجل ذلك بواسطة محام فى برلين ، بل أنه يطالب حتى بجوازات سفر لمحام يرغب الامير الحاكم فى ارساله الى درسدن، لاجل أن ينال لكولهاس حقا ضد اليونكر فنتسيل فون ترونكا ، من أجل الخيل التى أخذت منه على ارض سكسونية ، ومن أجل الاعمال السيئة الصارخة الى عنان السماء وأعمال العنف ـ عين الامين هر كويتز ، فى تغيير مراكز الدولة فى سكسونيا ، رئيس مستشارية الدولة ، وكان لايريد لبعض الاسباب ، أن يجرح بلاط برلين فى الحرج الذى كان فيه ، فأجاب باسم سيده ، الذى كان مهزوم النفس ، بسبب المذكرة التى وردت ، ان الانسان ليعجب من روح الجفاء ، وروح عدم الانصاف اللتين ينكر بهما حق بلاط درسدن فى أن يحاكم كولهاس ، طبقا للقوانين من أجل الاعمال الاجرامية التى ارتكبها فى البلاد مع أنه معلوم للعالم كله أنه يملك قطعة أرض كبيرة فى العاصمة ، ، وأنه هو نفسه لا ينكر قطعا صفته كمواطن سكسونى ، ولما كان التاج البولونى قد انتهى من جمع جيش من خمسة آلاف رجل على حدود سكسونيا ، ليقاتل

من أجل مطالبه ، وأوضح المستشار الاول الهر هينريش فون جويزاو ، بأن كولهازنبروك ، وهى القرية التى سمى كولهاس نسبه اليها ، تقع فى مقاطعة براندنبـورج ، وأن تنفيذ حكم الاعدام الذى صدر عليه ، أنما سيعتبر انتهاكا لحقوق الشعوب ، ولذا دعا الامير الحاكم ، بناء على نصيحة الامين هر كونتز نفسه، والذى كان يرغب فى أن ينسحب من هذا التصرف، الامير كريستيرن فون مايسن من ضياعه وصمم، بناء على كلمات قلائل من هذا السيد متزن الادراك أن يسلم كولهاس طبقا للمطالبة ، الى بلاط برلين، واضطر الامير أن يتولى قيادة مشكلة كولهاس بناء على رغبة سيده المحرج ، ولو أنه كان غير راض عن الامور غير اللائقـة التى وقعت ، ثم سأله ، وعلى أى أساس يريد أذن أن ترفع الدعوى ضد تاجر الخيل أمام محكمة القضاء العـالى فى برلين، ولما كان الانسان لا يستطيع أن يسـتند الى خطابه المكدر الى ناجلشميدت ، بسبب الظروف المبهمة وغـير الواضحة التى كتب فيها ، كما أنه لا يجـوز ذكر أعمـال النهب والتدمير بالنيران السابقة ، بسبب المنشور الذى عفى عنه فيه ، قرر الامير الحاكم أن يقدم تقريرا الى جلالة

الامبراطور فى فينا ، عن غزو كولهاس المسلح لسكسونيا ويشكو من تعكير السلام العام فى البلاد الذى أنشأه ، ويرجو ذات جلالته ، والتى هى فى الواقع غير مقيدة بأى عفو ، أن تقدم كولهاس لمحاسبته من أجل ذلك بواسطة مدعى دولة أمام محكمة البلاط ببرلين ، وبعد ثمانية أيام بعث أمير براندنبورج الناخب ، الفارس النبيل فريدريش فون مالتزان مع ستة من جنود الفرسان ، الى درسدن ، حيث نقل تاجر الخيل ، مقيدا كما كان ، الى مركبة لتقله الى برلين مع أولاده الخمسة ، الذين كانوا قد جمعوا ثانية ، بناء على توسله ، من ملاجىء اللقطاء واليتامى ، وحدث أن سافر أمير سكسونيا الناخب بصحبة الامين هر كونتز وزوجته السيدة هيلويزا ابنة حاكم الاقليم وشقيقة الرئيس ورجال ونساء من أبرز شخصيات المجتمع ، فضلا عن نبلاء من هواة الصيد ورجال من حاشية البلاط ، الذين كانوا حاضرين ، ويضيق المقام عن ذكرهم ، سافر الى دامه اجابة لدعوة حاكم الاقليم جراف الويسيوس فون كالهايم ، الذى كان يملك فى ذاك الوقت ضياعا شاسعة على حدود سكسونيا ، وسافر الى حفلة قنص فخمة لصيد الايل ، والتى

أقامها لاجل أن يدخل البهجة الى نفس الامير الحاكم ،
أقام له وللحاشية مخيمات ، تمتد عبر الطريق فوق مرتفع
وزينها ببيارق ترفرف من فوقها ، وتحت ظل هذه المخيمات
جلس المدعوون برمتهم الى المائدة ، وهم لا يزالون
يكسوهم غبار رحلة القنص ، تستقبلهم ألحان طرب بهجة
تتجاوب أصداؤها من تحت جذع شجرة سنديان، والندل
من غلمان الاشراف يقومون بخدمتهم ، وفى تلك الفترة
واذا بتاجر الخيل يعبر الطريق الهوينا، مارا بهم تحيط
به الجند الراكبة فى طريقه آتيا من درسدن، وفى الواقع أن
مرض أحد أطفال كولهاس الصغار الرقيقى البنية ، أجبر
الفارس النبيل فون مالتزان المرافق له ، أن يبقى ثلاثة أيام
فى هرتزبرج ، ولم ير ما يدعوه لان يحيط حكومة درسدن
علما بما اتخذه من أجراء ، حيث أنه مسئول عن ذلك فقط
للامير الناخب الذى هو فى خدمته ، وكان الامير الحاكم
يجلس بصدره نصف عار ، يزين قبعته المحلاة بالريش
بأغصان من شجر التان [1] على عادة القناصين وبجانبه
السيدة هيلويزا ، التى كانت فى مطلع شبابه ، حبه الاول،

١ ــ شجر شبيه الى حد ما بشجر الصنوبر ينمو بكثرة فى
المانيا

وقال وقد غمرته فرحة الحفل التى سحرته وأثارت نشوته «دعونا نذهب الى هذا البائس ، أيا كانت شخصيته ، ونمد أليه هذا القدح من النبيذ!» وعند ذلك ألقت السيدة هيلويزا بنظرة فاتنة أليه ، وقامت فى الحال ، ونهبت ماعلى المائدة كلها من فاكهة وفطائر وخبز وملأت بها وعاء من الفضة ، كان قد قدمه اليها أحد الغلمان، وانطلقت الحاشية كلها فى حشد، بمنعشات من كل لون ، تاركة المخيم فى هرع، وأذا بحاكم الاقليم يقبل نحوهم بوجه ينم عن الحرج ورجاهم أن يتخلفوا ، فلما سأله الامير الحاكم السؤال المريك، ما الذى حدث حتى أنه منفزع هكذا ، أجاب حاكم الاقليم متلعثما ومتجها بنظره الى الامين ، وقال بأن كولهاس هو الذى فى المركبة ، وكان الخبر بعيد الادراك لهم جميعا ، لان الكل كان يعرف أنه رحل منذ ستة أيام، وأخذ الامين هر كونتز كأسه الملىء بالنبيذ ، وأدار ظهره للمخيم ، ثم أفرغ ما به على الرمال ، وأما الامير الحاكم، وقد احمرلونه جدا، فقد وضع كأسه فى صحن ، كان أحد الغلمان الاشراف قد أسرع وقدمه اليه لهذا الغرض بناء على أيماءة من الامين ، وبينما كان الركب يخترق

المخيم مهلا ، والذى كانت حباله تمتد عبر الطـريق ، فى طريقه الى دامه ، حيا الفارس النبيل فريدريش فون مالتزان روادالحفلة بكلاحترام على غير علم منه بشخصيتهم ، الا أن السادة عادوا الى المخيم ، استجابة لدعوة حاكمالاقليم من غير أن يفطنوا الى ذلك ، وبمجرد أن استقر الامـير الحاكم ، بعث محافظ الاقليم فى تكتم الى بلدة دامــه ، ليطلب الى بلدية البلدة هناك ، أن تسرع فى ترحيل تاجـر الخيل عنها، ولكن لما أوضح الفارس النبيل بأنه قرر المبيت فى البلدة ، لانقراض الجزء الاكبر من النهار، اضطرت البلــدية أن تقنع بأيوائه فىسكون فى مزرعة تابعــة لهــا مختفية بين الخمائل منزوية جانبيا ، ولما أقبل المساء وكان السادة فى لهو مما أشاعته الخمر من انتعاش وخاتمةالطعام من متعة ، فأنهم نسوا خلال ذلك حدث اليوم برمته ، ثم حدث أن اقترح محافظ الاقليم عليهم أن يهرعوا مرة أخرى الى أمكنة التربص للقنص ، حيث شوهد قطيع منالايل، ورحب المحتفلون كلهم باقتراحه، وهرعوا أزواجا يقفزون فوق الاخاديد والوشائع ، بعد أن حمل كل منهم بندقيته، الى مشارف الغابة القريبة ،.واقتيد الامير الحاكم والسيدة

هيلويزا، التى تعلقت بذراعه، رغبة منها فى رؤية هذا الحفل بواسطة خادم خصص لهما ، واقتيدا رأسا لدهشتهما عبر ساحة البيت ، الذى كان يستقر فيه كولهاس وفرسان براندنبورج ، فلما عرفت السيدة ذلك ،قالت للامير ، وهى تخفى السلسلة التى تتدلى من عنقه ، فى مداعبة داخل صديريه الحريرى ، «تعال ، أيها السيد الرحيم ! تعال! ، دعنا نتسلل الى المزرعة قبل أن تلحق الحاشية بنا ، لنمعن النظر فى هذا الرجل العجيب الذى يبيت فى داخلها» فأمسك الامير الحاكم بيدها، وقد علت حمرة وجهه ، وقال لها «هيلويز! ما هذا التصرف؟» فلما رأته محرجا ، قالت له ، بأن لن يفطن أحد الى شخصيته ، وهو فى زى الصيد الذى يرتديه ، ثم جرته ، وفى تلك اللحظة أقبل بضعة من اليونكرز القناصة ، من داخل البيت ، بعد أن أرضوا فضولهم ، يؤكدون أن فى الواقع لا الفارس النبيل ولا تاجر الخيل يعرفان من هى تلك الجماعة المجتمعة فى زمام بلدة دامه ، بناء على الاجراء الذى اتخذه محافظ الاقليم، وعند ذلك دفع الامير مبتسما قبعته الى ما فوق عينيه وقال «انك أنت الطيش الذى يحكم العالم، ومقرك فم امرأة

جميلة !» ـ وتصادف أن كان كولهاس جالسا على كومة من القش ومستندا بظهره الى الحائط ، يطعم طفله الذى مرض في هرتزبرج، بالخبز واللبن فى لحظة أن دخل عليه السيدان ليزوراه فى المزرعة ، ورأت السيدة ، لاجل أن تبدأ حديثا معه ، أن تسأله عن شخصه ، وعما يشكو منه الطفل ، وأيضا عما ارتكبه، وألى أين يرحل تحت مثل هذه الحراسة وعند ذلك حياها كولهاس برفع قبعته الجلدية ، وأجابها على كل هذه الاسئلة بردود مقتضبة، ولكنها مرضية، واستمر فى عمله، أما الامير الحاكم الذى كان واقفا خلف اليونكرز القناصين ، لما رأى تغليفة صغيرة من الرصاص تتدلى من عنق تاجر الخيل فى خيط من الحرير ، وسأله لما لم يجد أخير منها لتكون موضوع حديثه معه ، ما مغزى هذه التغليفة ، وما الذى تحتويه، فقال كولهاس، وهو ينزعها من قفاه ويفتحها ويخرج قصاصة مغلقة بالصمغ من داخلها ـ « نعم أيها السيد الكريم ، أما هذه التغليفة فلها مغزى عجيب ، أنها أشهر سبعة يمكن أن تكون قد انقضت، وعلى وجه الدقة يوما، بعد دفن زوجتى، انطلقت من كولهازنبروك ـ وربما تكونون قد سمعتم بذلك ـ ثائرا أريد القبض على اليونكر

فون ترونكا ، الذى ارتكب مظالم عـدة معى ، وقادتنى حملتى الى يتربوك ، وهى بلدة حيث كان أمير سكسـونيا الحاكم وأمير براندنبورج الحاكم على موعد للمقابلة هناك للتفاوض فى أمر أجهله ، ولما تقابلا حوالى الغروب حسب رغباتهما ، أخذا يجوبان شوارع المدينة فى حديث ودى ، وليريا رأى العين موسم السوق السنوى، الذى كان اذ ذاك قائما فيها فى جو من المرح، الى أن اعترضت طريقهما أمرأة من الغجر، تعتلى مقعدا واطئا يحوط بها الشعب ، وهى تقص عليهم نبوءات من تقويم ، فسألاها فى مزاح ، عمـا اذا كانت تستطيع أن تكشف لهما أيضا عن أمور محببة الـى نفسيهما، وكنت قد نزلت بصحبة رجالى فى خان ، وكنت حاضرا فى الساحة التى وقع فيها هذا الحدث ، غير أنى لما كنت قد اتخذت لنفسى مكانا خلف جموع الشعب على باب كنيسة، فأنى لم أستطع أن أتبين ما قالته هذه المرأة العجيبة للسيدين، وكان الناس يتهامسون لبعضهم، وهم يضحكون قائلين ، بأنها لا تحيط كل أنسان بعلمها، وازداد تزاحمهم مجتذبين بهذا المشهد ، الذى كان وشيك الوقوع، ولما كان يعوزنى فى الواقع، حب الفضول ، فأنى تنحيت عـن

مكانى للفضوليين، وارتقيت مصطبة خلفى مشيدة حفرا فى مدخل الكنيسة ، ولم أكد أملك الرؤيا ، من هذا المكان من غير أن يعكرها أدنى عائق، للسيدين والمرأة التى كانت جالسة أمامهما على المقعد ، والتى لاح انها كانت تشخبط شيئا ، وهنا قامت من فورها تتساند على عكازيها ، تتلفت الى جموع الشعب، ثم رصدتنى بنظرتها، مع أنى لم أتبادل معها كلمة واحدة البتة ، وما كنت يوما فى حياتى شغــوفا بعلمها ، وأخذت تغتصب طريقها بين زحام جموع الشعب المتكتلة ألى أن وصلت الى ، وقالت « أليك ! ، أذا كان السيد يريد أن يعرفه ، فليسألك عنه ! » ثم أعطتنى بيديها الذابلتين المتعظمتين ، أيها السيد الكريم هذه الوريقة ، وشعرت بشىء من الحرج عندما اتجهت عيون الشعب كله الى ، فقلت لها «يا أماه ! ما هذا الذى تهـدينني أياه ؟» فقالت بعد كلام كثير غير مفهوم ــ ولو أنى سمعت خلالـه لشدة دهشتى اسمى ــ «أنها تعويذة ياكولهاس، ياتاجر الخيل! احتفظ بها جيدا ، فقد تنقذ لك حياتك فى يوم ما» واختفت ، ــ ثم استطرد كولهــاس يقــول بحسن طوية «وأقرارا للحقيقة أقول ، لم أفقد حياتى فى درسدن ، ولو

أن الموقف كان خطيرا للغاية ، وأما ماذا يخبئه لى القدر فى برلين ، وعما اذا كنت سأنجح بها أيضا هنـاك ، فهذا ما سيكشف لى عنه المستقبل» ـ وخلال هذه العبارة ، جلس الامير الحاكم على مقعد، ومع أنه أجاب على سؤال السيدة المحرج ، ما الذى جرى له ، «لاشىء لا شىء بالمرة ! » ، مع أنه كان فى طريقه الى السقوط مغشيا عليه، قبل أن يكون عندها الوقت لتسارع اليه وتسعفه ، فتستقبله بين ذراعيها وتصادف أن دخل فى تلك اللحظة بالذات ، الفارس النبيل فون مالتزان ، لقضاء أمر بالغرفة ، فصاح «يا آلهى العظيم! ما الذى أصاب السيد ؟ » فصاحت السيدة « آتوا بمـاء الى هنا !» ، رفعه اليونكرز القناصون من على الارض ، وحملوه الى فراش فى الغرفة المجاورة، وقد بلغ الذعر أشده عندما قال الامين ، الذى كان قد أتى به أحد الندل عـلى عجل، وبعد أن حاول عبثا أكثر من مرة أن يعيده الى وعيه، قال بأن كل الظواهر التى تصدر عنه ، تتحدث كما أنـه أصيب بنوبة ، وأما محافظ الاقليم ، فلما رأى أن الامـير بدأ يفتح عينيه ، أمر بأحضار مركبته ونقله فيهـا ، وهى تسير فى حركة وئيدة ، الى قصر قنص قريب يملكه الامير

الحاكم فى هذه المنطقة ، فى حين أن ساقى الامير الحاكم بعث برسول راكب الى بلدة لوكاو ليأتى بطبيب من هناك غير أن هذه الرحلة سببت للامير الحاكم بعد وصوله الى هناك ، نوبتى أغماء أخريين ، بحيث أنه لم يفق منهما بعض الشيء ، ألا فى وقت متأخر من الصباح التالى ، فى لحظة قدوم الطبيب من لوكاو فى ظل أعراض ـ ومع ذلك مقررة ـ لحمى عصبية مقبلة ، وبمجرد أن تملك وعيه اعتدل فى فراشه جزئيا ، وكان أول سؤال له مباشرة «أين كولهاس؟» فأجاب الامين الذى أساء فهم سؤاله وهو يمسك بيده ، بأنه يرجوه أن يطمئن بالا من ناحية هذا الرجل المريع ، أذ أنه بناء على أمر منه ، بعد هذا الحادث الغريب وغير المفهوم ، بقى الرجل تحت حراسة براندنبورج داخل المزرعة فى دامه ، ثم أكد له فى ظل منتهى عطفه عليه ، أنه وجه أمر عبارات اللوم لزوجته على طيشها غير الجدير بالصفح فى جمعها أياه بهذا الرجل، وسأل الامير الحاكم ، عما أثر عليه الى هذا الحد بشكل عجيب ومريع فى الحديث معه ، فقال الامير الحاكم بأنه لابد له من أن يعترف له بأن السبب فى كل ما حدث له ، يرجع الى

نظرته الى قصاصـــة تافهـــة ، كان يحملها هـــذا الرجـــل
معه داخل تغليفة صغيرة من معدن الرصاص ، والتى هى
السبب فى هذه المصادفة السيئة برمتها ، ثم أضاف أيضـــا
بعض القول ، والذى لم يستوعبه الامين ، لايضاح هـــذا
الحادث ، ألى أن أكد له الامير الحاكم بغتة ، وهو يضغط
بكلتا راحتيه على يده ، بأن حصوله على هذه القصاصة
ذو أهمية كبرى لديه ، ورجاه بأن يتوجـــه فورا راكبا الى
بلدة دامه ويساوم تاجر الخيل من أجل هذه الوريقة مهما
كان الثمن ، فأجاب الأمين ، وقد أجهد نفسه فى أخفـــاء
ربكته، مؤكدا للامير الحاكم ، أنه اذا كانت هذه القصاصة
لها بعض الاهمية فى نفسه ، فلن يكون فى الدنيا بأســرها
أمر أكثر ضرورة لاخفائه عن كولهاس من هذا ، أذ أنـــه
لو أدرك كولهاس من تلميح ، قد يفلت عفوا ، عن ذلك ،
فلن تكفى كل الثروات التى يمتلكها لشراء هذه الوريقـــة
من يد هذا الرجل الشرير ذى الظمأ الذى لايطفأ الى الانتقام
واستطرد يقول ، لطمأنة الامير الحاكم ، أنه يجب أن يفكر
فى واسطة أخرى ، وربما كان ممكنا عن طريق الخديعـــة
الحصول على القصاصة التى تهمه جدا ، باستخدام شخص

آخر يكون خالى الذهن تماما ـــ ، ومن المرجح أن يكون هذا الشرير فى حد ذاته لا يتعلق كثيرا بها ـــ ، فسأل الامير الحاكم ، وهو يجفف عرقه ، عما اذا لم يكن من الممكن ، أرسال مبعوث فى الحال الى دامه من أجل ذلك ، لايقاف ترحيل تاجر الخيل مؤقتا حتى يستولى على قصاصة الورق منه بأى شكل كان ، فأجاب الامين، الذى لم يكن ليصدق سمعه ، بأنه من المؤسف أن التقديرات كلها ترجح بأن تاجر الخيل قد غادر دامه ، ومن المؤكد أن يكون فى الجانب الآخر من داخل أراضى براندنبورج، وأن كل محاولة الآن لاعاقة ترحيله أو محاولة أعادته بالذات ، ستثير مشـــاكل متعبة جدا ، وأوسع ما تكون مدى ، حتى من تلك التى ربما قد لا يمكن حلها البتة ، ثم سأل الامير الحاكم ، الذى ركن أذ ذاك الى الصمت ، وأستلقى على الوسادة كمـــن استبد به اليأس ، عما تحتويه هذه الوريقـــة وأى توافق غريب غامض أوحى أليه بأن فحوى هـــذه الوريقة ينصب عليه ، وعند ذلك ألقى الامير الحاكم على الامين بنظـــرة ريب وتشكك فى امتثاله له فى هذه المرة ، فلم يجبه عـــلى سؤاله ، وفى جمود ، راقد فى فراشه ، وقد اشتد خفقـــان

قلبه ، يتطلع الى وشى منديله الذى كان ممسكا به بين يديه ، وقد أحاقت به الهواجس والافكار، طلب الى الامين فجأة أن يأتى له بيونكر القنص فون شتاين ، ليوافيه فى غرفته . تحت ستار ، أنه يرغب فى التحدث أليه فى شأن آخر ، وهو شاب لبق ، قوى البنية ، وكثيرا ما عهد اليه الامير الحاكم فى مهمات سرية ، فلما جاء يونكر القنص ، قص عليه الامير الحاكم موضوع القصاصة بالتفصيل ، مبينا له أهميتها لديه ، وأنها فى حوزة كولهاس ، الى أن سأله، عما اذا كان يرغب أن يكون جديرا دائما بصداقته، فيأتى له بهذه القصاصة ، قبل أن يصل كولهاس الى برلين ، ولم يكد اليونكر يلم نوعا ما ، بالمهمة على غرابتها حتى اندفع يؤكد للامير أنه فى خدمته بكل قواه ، وعند ذلك طلب اليه الامير الحاكم أن يمتطى جواده ويلحق بكولهاس ، وفى حديث لبق يعرض عليه ، مقابل ذلك أنقاذ حياته ورد حريته اليه ــ لانه على الارجح لن يمكن كسبه بالمال ــ فأذا تمسك بذلك ، فليساعده مباشرة ، ولكن بحرص ، ويمده بالخيل والرجال والمال، ليتمكن من الفرار من أيدى فرسان براندنبورج ، الذين يتولون مهمة ترحيله

وبعد أن التمس يونكر القنص ورقة مكتوبة يعتمد بها من يد الامير الحاكم ، انطلق فورا صحبة نفر من الخدم ، وحالفه الحظ ــ لما لم تأخذه رأفة بمطيتـه ــ أن يقابل كولهاس فى قرية على الحدود ، حيث كان يتناول هو والفارس النبيل فون مالتزان وأولاده الخمسة الغداء المقدم فى العراء أمام باب أحد المنازل، فتقدم اليونكر من الفارس النبيل فون مالتزان على أنه غريب راغب ، وهو فى طريق رحلته ، رؤية هذا الرجل الفذ فى نوعه الذى يصطحبه معه وعند ذلك قدمه فون مالتزان الى كولهاس ، ودعاه فى تودد لان يشاركهم طعامهم ، ولما كان الفارس النبيل فون مالتزان فى حركة دائمة للتأهب للرحيل ، وكان الفرسان يتناولون طعامهم على مائدة أخرى أعدت لهم فى الجانب الآخر من البيت ، فقد تواجدت الفرصة دانية ، حيث أمكن اليونكر أن يكشف لتاجر الخيل عن نفسه ، وعن المهمة الخاصة التى جاء من أجلها ، وأما ما يتعلق بالرجل الذى أغمى عليه فى المزرعة فى دامه ، عندما رأى التغليفة التى يدور حولها الحديث ، فان تاجر الخيل قد عرف مكانته واسمه ، ولم يحتج لشىء آخر لاكتمال نشوته التى ألقى

به فى أحضانها ، كشف هذا السر ، ألا تعرفه أسرار هـذه القصاصة ، والتى صمم بدافع بعض الاسباب على عـدم فتحها ، لمجرد حب الاستطلاع : فقال تاجر الخيل بأنـه سيحتفظ بهذه الوريقة فى ذكرى المعاملة المجردة عن النبل وشيم الامراء، التى اضطر أن يخبرها فى درسدن ، فى حين أن أبدى هو نيته الحسنة المطلقة ، لان يقدم كل ما هـو ممكن من تضحية ، فلما سأله يونكـر القنص ، ما الذى يدفعه الى هذا الرفض الغريب ، اذا كان هو لا يعرض عليه مقابل ذلك أقل من حريته وحياته ، قال كولهاس : «أيهـا السيد النبيل ! لو جاء أميركم وقال : «أنى أقضى علـى نفسى وعلى الحاشية كلها التى تساعدنى فى حمل الصولجان ـ أقضى ، أتدركون أنتم وهو فى الواقع منتهى الامنيـة التى تتمناها نفسـى ، فأنى أمتنـع مع ذلك عن أعطائـه القصاصة ، التى هى له أعز من كيانه وأقول له : «يمكنك أن تسوقنى الى المقصلة ولكنى أستطيع أن أؤلمك ، وأنا أريد ذلك» ، وبعد ذلك والموت يتلألأ فى وجهه ، نادى أحد الفرسان أليه ، وطلب اليه أن يأخذ قطعة طيبة من طعـام تخلف فى الآنية ، وتظاهر باقى ساعة الراحة بأكمله، التى

قضاها فى القرية، وكأنه غير موجود بالنسبة لليونكر، الذى كان جالسا الى المائدة ، ولم يلتفت اليه الا عنـدما ركب العربة . وألقى بنظرة تحية الوداع ، ـتدهورت حالةالامير الحاكم حينما وصل أليه هذا الخبر لدرجة أن الطبيب كان فى منتهى القلق ، خلال ثلاثة أيام عصيبة جدا ، من أجل حياته ، والتى كانت فىنفس الوقت تهاجم من نواح عديدة[1] غير انه استعاد صحته من قوة بنيته ، بعد عـدة أسـابيع قضاها فى حالة أليمة طريح الفراش، الىحد علىالاقل أن أمكن نقله الىمركبة: مزودا جيدابوسائد وأغطية، وأعادته الى درسدن الى شئون الحكم ، وبمجرد أن وصـل الى تلك المدينة ، دعا الامير كريستيرن فون مايسن أليه ، وسأله الى أى مدى هيىء لارسال المستشار القضائى أيينماير ، الذى اعتزم أرساله كمدع فى قضية كولهاس الى فينـا، لاجل أن يعرض على الجلالة الامبراطوريـة الشـكوى الخاصة بتعكير السلام العام ، الذى أنشأه الامبرطور ، فأجابه الامير فونمايسن ، بأن المستشار سافر الى فينا ،

---

١ ـ المقصود به : هجوم أوسـاط متعـددة فى البـلاد على تصرفاته

طبقا لامره الذى تركه قبل ذهابه الى دامه ، وأنه سافر مباشرة عقب وصول العالم القانونى تزوينر ، الذى بعث به أمير براندنبورج الى درسدن كمدع عام ، لاقامة الدعوى أمام المحكمة باسمه ضد اليونكر فنتسيل فون ترونكا ، خاصا بجوادى تاجر الخيل الاسودين، دهش الامير الحاكم وعلت وجهه حمرة ، وهو يتقدم نحو مكتبه ، لهذا الاستعجال ، فى حين أنه يذكر ، أنه بين بأنه يود أن يحتفظ بأمر أكثر وضوحا وتخصيصا فى السفر النهائى لايبنماير ، بسبب ضرورة أن يتحدث قبل ذلك مع الدكتور لوتر ، الذى استخلص منه قرار العفو عن كولهاس، وألقى خلال ذلك ببضع وثائق وملفات فوق بعضها البعض، والتى كانت موضوعة فوق المائدة ، بطابع من الغضب المحتجز ، وبعد فترة سادها الصمت، أحدق الامير فون مايسن خلالها فى وجهه ، وأعقب يقول ، بأنه يأسف اذا كان قد فشل فى استرضائه فى هذا الموضوع ، ألا أنه يستطيع خلال ذلك، أن يقدم له قرار مجلس الدولة ، والذى فيه ، جعله واجبا عليه أرسال المحامى فى الموعد المعين ، واستطرد قائلا، بأن فى مجلس الدولة، لم يمس موضوع أى تحدث مع الدكتور

لوتر ، وأنه ربما كان فى الماضى ، مراعاة هذا السيد الدينى
ليس الآن بعد أن نقض قرار العفو عنه أمام العالم كله ،
وألقى القبض عليه وسلم الى محاكم براندنبورج للحكم
عليه وأعدامه ، فقال الامير الحاكم ، بأن الخطأ فى أرسال
المحامى العام هو فى الواقع ليس خطيرا، ألا أنه يرغب فى أن
لا يتقدم مؤقتا فى شخصيته كمدع فى فينا، الى حين صدور أمر
آخر ، وطلب من الامير فون مايسن أن يصدر أليه باللازم
توا عن طريق رسول عاجل ، فقال له الامير فون مايسن ،
بأنه يأسف لان هذا الامر جاء يوما متأخرا، أذ أنه قد تقدم
أبينماير فى شخصيته كمدع، ورفع الدعوى أمام مستشارية
الدولة فى فينا ، حسب نبأ ورد اليـــوم توا ، فلما أحرجـــه
الامير الحاكم وسأله ، كيف أن هذا كلـــه ممكن فى وقت
قصير كهذا ، أجابه الامير فون مايسن ، بأنه قد انقضت
ثلاثة أسابيع منذ سفر هذا الرجل ، وأن التعليـــمات التى
أصدرت اليه ، جعلته واجبا عليـــه ، أن يؤدى مأموريتـــه
بلا أبطاء عقب وصوله الى فينا ، كما أشار الامير ألى أن
أى تباطؤ فيما أتخذ من أجراء ، أنما كان يعد أقـــل توفق

فى هذه الحالة ، اذ أن تزوينر المدعى لولاية براندنبورج ، قد شرع بأشد ما يمكن من ضغط ، فى عناد، ضداليونكر فنتسيل فون ترونكا . وأضاف على سؤال الامير الحاكم وكيف أن هذا ، فى كل مكان ، كان ممكنا فى وقت قصير كهذا ، بأنه قد انقضت ثلاثة أسابيع، منذ سفر هذا الرجل وأن التعليمات التى وصلت اليه ، جعلت قيامـــه بأجـراء غير متلكأ فيه ، فى هذه المأمورية ، بعد وصـــوله توا الى فينا ، واجبا عليه ، وأشار الامير بأن تباطؤا كان يكون فى هذه الحالة مجانبة أكثر للباقة ، حيث أن تزوينــر مدعى براندنبورج ، قد اتخذ اجراءه ضد اليونكر فنتسيل فون ترونكا بقوة فى منتهى الصلابة ، وأنه قد قدم طلبا ألــى المحكمة ، بسحب الخيل السوداء المؤقت من يدى حانوتى الحيوانات ، من أجل أعادتها المقبلة الى صحتها ، ونفذ أيضا ذلك ، بدون النظر الى جميع اعتراضـــات الخصـــم فقال له الامير الحاكم وهو يدق الناقوس ، حتى ولو كان ذلك ، فهذا لا يعنى شيئا ، وبعد أن استدار الى الامـــير بأسئلة عادية مثل ، ما هى الحالة فيما عدا ذلك فى درسدن وما الذى وقع أثناء غيابه ، حياه باليد ، وهو عاجز عن أن

يخفى حالته النفسية فى أشد أعماقها ، وصرفه ، وطلب منه أيضا فى نفس اليوم كتابة ، جميع ملفات قضية كولهاس ، بحجة أنه يود أن يعالجها بنفسه ، لاهميتها السياسبة ، ولما كانت فكرة تحطيم ذلك الرجل ، والذى منه فقط ، يستطيع أن يحصل على معلومات عن أسرار القصاصة ، بالنسبة له لا تحتمل ، فأنه حرر خطابا بخط يده الى الامبراطور رجاه فيه ، فى طابع عاطفى وعاجل ، لاسباب هامة ، والتى ربما أوضحها له بجلاء أكثر فى القريب العاجل ، أن يسمح له، ان يسحب الشكوى ، بصفة مؤقتة ، التى قدمها أيينماير ضد كولهاس، لحين اتخاذ قرار آخر، فرد عليه الامبراطور فى مذكرة أعدت من مستشارية الدولة، بأن التغيير، الذى يلوح ، أنه حدث فجأة فى نفسه ، يذهله الى أقصى حد ، وأن التقرير الذى بعث به اليه ، من جانب سكسونيا ، قد جعل مسألة كولهاس موضوع الدولة الرومانية المقدسة بأسرها، وأنه طبقا لهذا ، رأى وهو الامبراطور ، كرأس لتلك الدولة نفسها ملزما ، أن يتقدم كمدع فى هذه القضية ، لدى البيت الحاكم فى براندنبورج ، ــ وبشكل بحيث أن الشكوى ، لا يمكن الآن بأى حال أن تسترد،

ويجب أن تستمر فى مجراها طبقا للقوانين ، ـ لا سيما أن مندوبا قضائيا لدى البلاط فرانتز مولر ، قد سافر الى برلين ، كمحام ، لاجل أن يحاكم كولهاس هناك ، بسبب عبثه بالسلام العام للبلاد ، أهار هذا الخطاب الامير الحاكم تماما ، وزيادة فى كدره الى أقصى حد ، وردت بعد فترة ، رسائل خاصة من برلين ، التى تنبىء بتقديم القضية الى المحكمة العليا ، والتى أشير فيها ، بأن كولهاس سينتهى على الارجح الى المقصلة ، بغير التفات الى جهود المحامى كلها ، الذى خصص له ، ولذلك قرر هذا السيد التعس[1] أن يجرى محاولة أخرى ، ورجا أمير براندنبورج فى خطاب بخط يده من أجل حياة تاجر الخيل ، وتذرع بأن العفو الذى وعد لهذا الرجل ، لا يسمح بحق أن ينفذ فيه حكم الاعدام ، وأكد له بالرغم من الشدة الظاهرة ظاهرا التى سلكت معه ، لم يكن اعتزامه قط ان يدعه يموت ، ووصف له ، كم سيكون باعثا لليأس ، لو أن الحماية ، كما يدعى التى يراد أن تمنح له من برلين ، لو أنها انقلبت فى النهاية الى تطور غير متوقع لضرره الاكبر ، عما لو أنه كان بقى

---

١ ـ المقصود به الامير الحاكم

فى درسدن ، وبت فى قضيته طبقا للقانون السكسونى ، فأجاب أمير براندنبورج ، الذى لاحب له فى هذا البيان، بعض أمور ذات معنى مزدوج ، وغير ظاهرة ، بأن الضغط الذى يعمل به مندوب جلالة الامبراطور ، لايسمح اطلاقا ، تمشيا مع الرغبة التى أبداها له ، بالانحراف عن لائحة القانون الصارمة ، ولاحظ أن القلق، الذى بسط أمامه ، فى الواقع ، قد بولغ فيه ، أذ أن الشكوى ، التى قدمت الى المحكمة العليا ببرلين، من أجل الاجرام، الذى عفى فيه عن كولهاس فى العفو العام ، كما هو معلوم ، ليست منه، الذى أصدر العفو له ، ولكنها من حاكم الدولة ، وهو غير مقيد به ، بأى حال ، ومع ذلك وضع أمامه، ، كيف أنه ضرورى أقامة مثل رادع ، بالنسبة لاعمال العنف المستمرة لنا جلشميدت ، والتى امتدت بوقاحة غاية فى الشدة، حتى الى منطقة براندنبورج ، ورجاه فى حالة ما أذا كان لايرغب فى أن يراعى هذا كله ، أن يتجه الى جلالة الامبراطور بنفسه ، أذ أنه ، لو أن كلمة فاصلة قد تصدر لصالح كولهاس ، فهذا فقط لن يمكن أن يحدث ، ألا عن بيان من هذه الناحية ، وسقط الامير الحاكم ، بسبب الحزن والكدر

لهذه المحاولات كلها الفاشلة ، فى مرض جديد ، ولما زاره الامين ذات صباح أراه الخطابات التى بعث بها الى ملاطى فينا وبرلين ، من أجل أمهال حياة كولهاس ، وبذلك يكسب على الاقل وقتا ، لتملك القصاصة ، التى يستحوز عليها ، جثا الامين بنفسه أمامه على ركبتيه ، ورجاه بكل ما هو مقدس وعزيز لديه ، أن يقول له ، ماذا تحويه هذه القصاصة ، فقال الامير الحاكم ، بأن يضبب باب الغرفة ويجلس على سريره ،وبعد أن أمسك بيده وبتنهيدة ضغط بها على قلبه ، بدأ على النحو الآتى : «ان زوجتك قصت عليك كما سمعت ، بأن أمير براندنبورج وأنا فى اليوم الثالث للمقابلة ، التى تمت فى يتربوج ، تقابلنا مع غجرية، وقرر الامير الناخب ـ ذكيا كما هو بطبيعته ـ أن يفسد سمعة هذه المرأة المغامرة ، عن طريق مزاحة أمامالجمهور كله، والتى كان الحديث عن فنها على المائدة على نحو غير لائق فتقدم بذراعين مكتوفين ألى أمام منضدتها ، وطلب من أجل النبوءة التى قد تؤديها له ، علامة منها ، التى تسمح بتجربتها اليوم بالذات ، متذرعا بأنه ، وألا فلن يستطيع أن يصدق كلامها ، حتى ولو كانت هى زيبلا الرومانية

نفسها ، فقالت المرأة ، وهى تقيسنا خطفا من الرأس الى القدم ، بأن العلامة ستكون ، أن ذكر الوعل الكبير : ذا القرون، والذى رباه ابن البستانى فى المتنزه ، سيأتى مقبلا ألينا فى السوق ، الذى تتواجد فيه ، قبل أن نغادره ، والآن يجب أن تعلم ، أن هذا الوعل المخصص لمطبخ درسدن ، كان محتفظا به فى حظيرة مغلقة خلف القفل والمزلاج ، مسورة عاليا بألواح والتى كانت تظللها أشجار سنديان المتنزه ، وبسبب أنه توجد حيوانات برية أخرى صغيرة وطيور ، وعدا هذا كان المتنزه اطلاقا، علاوة أيضا على الحديقة التى تقود اليه ، محتفظا به فى أغلاق معتنى به بشكل ، أنه لم يكن ليرى مطلقا ، كيف أن الحيوان ، طبقا لهذا الزعم الغريب ، يمكن أن يقبل لغاية المكان الذى كنا نقف فيه ، مع أن الامير الناخب، وقد قلق من أن يكون هناك ملعوب مختف فى ذلك ، وبعد تحدث قصير معى ، وقد قرر بصفة لا تتبدل ، أن يفسد ، من أجل الممازحة ، كل ما قد تقدمه [1] ، بعث ألى القصر ، وأمر أن يذبح الوعل الذكر فى الحال ، وأن يعد للمائدة فى أحد الايام المقبلة

١ ــ المرأة الفجرية من نبوءة

عقب ذلك استدار الى المرآة ، والتى تحدث فى هذه المسألة
بصوت مرتفع أمامها وقال : والآن هيا !.. ما الذى عندك
لى للمستقبل لتكشفيه ؟ فقالت المرآة : وهى تنظر فى يده
« السلام لاميرى الحاكم وسيدى ! سموك ستحكم طويلا،
وسيظل البيت الذى تنبت منه طويلا ، وأحفادك سيكونون
عظماء وفخاما، وسيصلون الى سلطان أكبر من جميع أمراء
العالم وسادته !» وتطلع الامير الحاكم، وهو ملىء بالافكار
الى المرآة. وبعد فترة قال بصوت نصف مرتفع،وبعد خطوة
خطاها نحوى. بأنه الآن يكاد يؤسفه أنـه بعث برسـول
ليقضى على النبوءة ، وفى خلال ما كان المال يمـطر أكواما
فى حجرها من أيدى الفرسان النبلاء ، الذين تبعوه ، تحت
كثير من التهليل، سألها ، وهو نفسه يدس يده فى جيبه ،
ويضيف قطعة ذهبية الى ذلك ، عما اذا كانت التحية، التى
ستبدأها لى أيضا من نغم فضى كنغمته ، وبعد أن فتحت
المرآة صندوقا ، كان كائنا بجوارها، ونظمت النقـود فيه
بتباطؤ وتمهل ، حسب نوعها وكميتها ، وقفلت الصندوق
ثانيا . وحجبت الشمس بيدها ، كما لو كانت مضايقة لها،
ونظرت الى : ولما كنت قد أعدت السؤال عليهـا ، وقلت

للامير الناخب فى نوع من المزاح ، خلال ما أن كانت تتمعن
يدى ، «يلوح لى أن ليس لديها شيء مستطاب لتعلنــه ،
وعند ذلك أمسكت بعكازيها ، وقامت ببطء عليهما من
مقعدها ، ودنت منى بيدين مواجهتين لفهما فى وضع غامض
وهمست ألى فى أذنى فى وضوح «لا!» ــ «هكــذا !،»
قلت أنا متبلبلا،وارتددت خطوة الى الوراء من أمام الشبح
الذى ألقى بنظرة باردة ، لا حياة فيها ، كما لو كانت من
عيون رخاميــة، وارتد الى المقعد الذى كان قائما خلفه ،
قلت « من أى ناحية يهدد خطر بيتى ؟» ، سألتنى المرأة ،
وقد أخذت قطعة فحم وورقة فى يدها وعانقت ركبتيهــا ،
عما اذا كانت لتكتب لى ذلك ، ولما كنت فى الواقع مرتبكا
وذلك فقط لانه لم يبق لى تحت الظروف القائمة شيءآخر
فقد أجبت «نعم ! اعملى ذلك» ، فأعقبت «هيا ! ، سأكتب
لك ثلاثا : اسم آخر حاكم لبيتك ، رقم السنة التى سيفقد
فيها دولته، واسم الذى سينتزعها منه لنفسه بقوة السلاح»
وبعد أن تــم ذلك أمام أعين الشعب كله ، قامت ولصقت
القصاصة بالصمغ الذى بللته فى فمها الذابل وضغطت عليها
بخاتم رصاص كان فى اصبعها الوسطى، ولما كنت شغوفا،

كما تدرك أنت بسهولة ، أكثر مما يمكن أن تقوله كلمات، شغوفا أن التقط القصاصة قالت : «لا بأى حال من الاحوال يا صاحب السمو» واستدارت ورفعت أحد عكازيها الى أعلى «من ذلك الرجل ، هناك ذى القبعة الريشية الواقف على المقعد المستطيل، خلف الشعب كله عند مدخل الكنيسة منه تستخلص القصاصة ، اذا كان ذلك مستحبا لك!» ، وبذلك وقبل أن استوعب جيدا ماذا تقول، وأنا فى المكان، وقد عقدت الدهشة لسانى ، تركتنى واقفا ، وفى خلال ما ان كانت تقفل الصندوق ، الذى كان كائنا خلفها وتقذف به فوق ظهـــرها ، اندمجت ، من غير أن استطعت زيادة أن الحظ ماذا تعمل بين جمهور الشعب المحيط بنا ، وعند ذلك ظهر فى هذه اللحظة بالذات ، وفى الواقع عزاء لقلبى ، ظهر الفارس النبيل ، الذى كان الامير الناخب قد بعث به الى القصر ، وأنبأه بفم ضاحك ، بأن ذكر الوعل قد ذبح وسحب من قناصين أمام عينيه ، الى المطبخ ، وقال الامير الناخب وهو يتأبط بذراعه منتعشا ذراعى ، معتـــزما أن يقـــودنى مغادرا المكان ، قال : «والآن هيا ! وهكذا كانت النبوءة، هى خديعة كل يوم ، ولم تكن تســـتحق الوقت والذهب

اللذين كلفتنا أياه !» ؛ ولكن كم كانت دهشتنا كبيرة ، اذ علت ، خلال هذه الكلمات صرخة من كل ناحية فى الميدان، واتجهت عيون الجميع الى كلب كبير مقبل ، فى سرعة من ساحة القصر ؛ والذى أمسك ذكر الوعل فى المطبخ، من مؤخرة عنقه ، كغنيمة طيبة ، ودعا الحيوان[1] ، وهو يلاحق من خدم وخادمات ، يسقط على قيد ثلاث خطوات منا ، بشكل أن نبوءة المرأة ؛ وقد تحققت ، فى الواقع ، برهان لكل ذلك الذى قدمته ، وقد أقبل ذكر الوعل ألينا لغاية السوق ، ولو أنه [2] ميت ، وأن الصاعقة التى تسقط من السماء فى يوم شتاء ، لا يمكن أن تصيب أكثر تدميرا ، عن هذا المنظر فى ، وكان مجهودى الاول ، توا ، بمجرد أن تخلصت من المرافقة ، التى كنت فيها ، هو أن أعثر على الرجل ذى القبعة الريشية ، الذى أشارت المرأة لى عنه ، غير أنه ، ولا واحد من رجالى ، الذين بعث بهم للاستخبار خلال ثلاثة أيام بلا انقطاع ، كان فى أمكانه أن يعطينى، حتى ولو فقط بطريقة بعيدة جدا ، خبراعن ذلك ، والآن

١ ــ الوعل

٢ ــ محذوف : أقبل

ياصديقى كونتز ، منذ أسابيع قلائل وفى المزرعة بدامه ، رأيت الرجل بعينى أنا» ـ وبذلك ترك يد الامـين ، وفى خلال ما أن كان يجفف العرق ، هبط مرتدا ثانيا فى الفراش ثم أن الامين الذى رأى أنه جهد ضائع ، أن يعارض برأيه فى هذه الواقعـة ، الرأى الذى للامير الحـاكم فيهـا ، ويصوبه [1] ، رجاه أن يحاول طريقـة ما ، ليسـتولى على القصاصة ، ويترك الشخص فيما بعد لمصيره ، آلا أن الامير الحاكم أجاب ، بأنه لا يرى طريقة اطلاقا لهـذا ، ولو أن التفكير فى ضرورة الاستغناء عن القصاصة ، أو حتى رؤية اندثار العلم بما فيها مع هذا الرجل [2] ، يقربه من البـؤس واليأس ، فلما سأله صديقه ، عما اذا لم يعمل محاولـة ان يستقصى عن شخصية الغجرية نفسها ، أجاب الاميرالحاكم بأن الحكومة، بناء على أمر أصدره اليها تحت ستار كاذب اقتفت أثر هذه المرأة عبثا حتى نهار اليوم فى جميع أمكنة الامارة ، مع أنه لاسـباب ، ومع ذلك رفض أن يبسـطها

---

١ ـ يحاول ان يرد رايه الى صواب التفكير .
٢ ـ المقصود به : باندثارها مع هذاالرجل بعد اعدامه ودفنه

بشكل أوضح، يشك اطلاقا فى آن يعثر عليها فى سكسونيا وتصادف آنئذ أن كان الامين يريد السفر الى برلين من أجل عدة ضياع كبيرة ، التى كانت من نصيب زوجته من تركة المستشار الاول جراف كالهايم فى نويمارك المعزول ، والذى مات سريعا عقب ذلك ، ولما كان الامين فى الواقع يحب الامير الحاكم جدا ، سأله ، بعد تفكير وجيز ، عما اذا كان يريد أن يترك له يدا مطلقة فى هذه المسألة، ولما كان هذا [١] ، وهو يضغط بيده متأثرا على صدره ، قد أجاب : «ظن أنك انت هو أنا ، واحصل لى على القصاصة» فقد عجل الامين ، بعد أن سلم أعماله ، رحلته بضعة أيام وسافر، وقد ترك زوجته ، مصطحبا فقط من عدة خدم الى برلين

كولهاس الذى كان ، خلال ذلك كما قد قيل قبلا ، قد وصل الى برلين ، وأتى به ، بناء على أمر خاص من الامير الحاكم ، الى سجن للنبلاء ، والذى استقبله مع أطفاله الخمسة فى راحة بقدر ما يمكن [٢] ، دعى كولهاس لمحاكمته،

١ ـ الامير الحاكم
٢ ـ المقصود به : مع توفير سبل الراحة بقدر ما يسمح به سجن النبلاء

بعد ظهور المدعى الامبراطورى من فينا [1] ، فورا أمام منصة المحكمة العليا، على أساس انتهاك سلام البلاد الامبراطورى العام [2] ، ومع أنه فى أداته سبق أن عارض ، بأنه لا يمكن أن يحاسب من أجل غزوه المسلح على سكسونيا ، وأعمال العنف التى ارتكبت خلاله، بمقتضى التسوية ، التى عقدت فى ليتسن مع أمير سكسونيا الحاكم ، الا أنه بلغه لتنويره على أن جلالة الامبراطور والذى يتولى مدعيه الشكوى هنا لا يستطيع أن يراعى ذلك ، وارتضى كولهاس الوضع أيضا بعد قليل ، لما أن فسرت له المسألة وبين له ، أن على العكس من ناحية درسدن ، أنه سينال الترضية التامة فى موضوعه ضد اليونكر فنتسيل فون ترونكا ، وبعد ذلك تصادف أن فى يوم وصول الامين بالذات ، أن أصدر القضاء كلمته فيه ، وحكم عليه بالاعدام ، بأن يطاح رأسه بالسيف ، حكم ، غير أنه لم يكن أحد يعتقد، بغض النظر عن تخفيفه ، فى تنفيذه ، بالنسبة لموقف المسألة المعقد ، حتى أن المدينة بأسرها كانت تأمل ، بالنسبة لطيب النية

١ ـ الذى جاء من فينا
٢ ـ المقصود به : الهدوء والسلام والطمأنينة التى تستظل بها البلاد فى رعاية الامبراطور

التى يحملها الامير الحاكم لكولهاس ، أن تراه يحول الحكم بدون شك ، الى مجرد عقوبة سجن ، التى ربمـا تكـون مرهقة وطويلة الامد ، وأما الامين ، والذى مع ذلك رأى، أنه لا يجوز أن يضاع وقت ، أذا كانت المهمة ستنفذ ، التى أعطاه أياها سـيده ، بدأ عمله ، بأن يظهر نفسـه جيدا وبأجهاد، فى زى البلاط العادى، فى صبيحة يوم ، لكولهاس حيث كان واقفا فى النافذة فى تأمل برىء للعابرين ، ولما أن استنتج الامين ، من حركة مفاجئة لرأسه ، أن تاجر الخيل قد لحظه ، وبصفة خاصة بسرور عظيم ، لاحظ قبضـة غير متعمدة منه باليد الى منطقة الصدر ، حيث تستقر التغليفة فاعتبر الامين ماجرى فى نفس كولهاس فى هـذه اللحظة تهيئة كافية للتقدم بخطوة أبعد ، فى المحاولة للاسـتحواز على القصاصة ، فدعا اليه أمرأة عجوزا جوالة على عكازين تمتهن سقط المتاع ، كان قد لحظها فى شوارع برلين ؛ من بين طائفة من آخرين من السوقة ، يتاجرون بالخرق، والتى لاح له أنها ، حسب سنها وزيها ، تكاد تنطبـق على تلك التى وصفها له الامير الحاكم، وعلى افتراض أن كولهاس لن يكون قد طبع عميقا فى ذاكرته قسمات تلك المرأة ، التى

قد ناولته القصاصة فى ظهور عابر ، قرر الامـين أن يدس بدلا منها المرأة المعنية ، ويجعلها ، اذا أمكن عمل ذلك ، أن تلعب لدى كولهاس الدور ، كما لو أنها كانت الغجرية ، وبناء على ذلك ومن أجل أن يجعلها الامين صالحة ، أحاطها علما وبالتفصيل بكل ما وقع بين الامير الحاكم والغجـرية المعنية فى ييتربوج ، وبصفة خاصة ، ولانه لم يكن يعلم، ألى أى مدى سارت هذه المرأة فى كشوفها لكولهاس ، لم ينس بصفة خاصة ، أن ينقش فى ذهنها عميقا، المواد السرية الثلاث ، المحتواة فى القصاصة ، وبعد أن فصل لها [1] الذى يجب عليها أن تجعله ينزلق من فمها بطريقة مفككة وغـير مفهومة ، هو [2] من أجل اجراءات ما والتى هيئت ، سـواء بخدعة أو عنف ، للاستيلاء على القصاصـة ، التى هى فى منتهى الاهمية للبلاط السكسـونى ، حملها الامـين أن تطلـب مـن كـولهـاس القصاصـة تـحت سـتـار، بأنها ليست فى أمان معه لحفظها، خلال بضعة أيام مشئومة أخذت امرأة الخرق أيضا فى الحـال على عاتقها ، تنفيـذ

---

١ ــ محذوف : الكلام

٢ ــمستتر : حديث يفشى اليه اجراءات هيئت ..... الخ

العملية المذكورة ، مقابل الوعد بمكافأة ضخمة ، والتى اضطر الامين بناء على طلبها ، أن يدفع جزءا منها مقدما ، ولما كانت والدة الخادم هرزه ، الذى سقط عند ميلبرج ، تزور كولهاس من حين لآخر بأذن من الحكومة ، وكانت هذه المرأة معروفة لها [1] منذ بضعة أشهر، فقد وقفت فى يوم من الايام التالية ، عن طريق عطية صغيرة الى السجان، الى الدخول لعند تاجر الخيل ، ولكن كولهاس ، لما دخلت هذه المرأة عليه ، اعتقد ، من خاتم كانت تحمله فى اليد، وعقد من المرجان متدل من العنق ، أنه يتعرف ثانية على الغجرية العجوز المعروفة [2] نفسها ، التى ناولته القصاصة فى يتربوج ، وكما أن الارجحية لا تكون دائما فى جانب الحقيقة فقد تصادف أن هنا شيئا حدث ، والذى ، ولو أننا نرويه ، غير أننا يجب أن نسلم بحرية التشكك فيه ، لهذا الذى قد يروق له [3] ، ـ لقد ارتكب الامين أفظع خطأ وقابل فى عجوز الخرق ، التى التقطها فى شوارع برلين ، لاجل أن تقلد الغجرية، قابل الغجرية الغامضة نفسها، والتى

١ ـ لوالدة الخادم هرزه

٢ ـ محذوف : له

٣ ـ مستتر : ان يتشكك

أراد هـو أن تقـلدها ، ـ علـى أى حال تروى المرأة [1] متوكأة على عكازيها ، وتربت على خدود الاطفال ، الذين استندوا الى والدهم ، وقد ذهلوا من منظرها العجيب ، تروى بأنها عادت منذ وقت فسيح من منطقة سكسونيا الى منطقة براندنبورج ، وأنها آلحت على الامين ، أجابة على سؤال منه فى أحد شوارع برلين ، تجرؤ فيه بلا حذر، عن الغجرية ، التى كانت فى ربيع العام المنصرم فى بيتربوج، فتقدمت فى الحال ، وعرضبت تحت اسـم كاذب ، القيـام بالمهمة التى يريد أن يرى تنفيذها، لاحظ تاجر الخيل شبها غريبا بينها وبين زوجتـه المتوفية ليزبت ، بدرجة أنه كان يستطيع أن يسـألها ، عما اذا كانت هى جـدتها ـ لان ليس فقط قسمات وجهها بل ويداها لا تزالان جميلتين، رغم تكوينهما العظمى ، ولا سيما فى الاستعمال لهما ، الذى تلجأ اليه فى الحديث ، يذكره بأكثر حيوية بها [2] ، وأيضا الخال، الذى كانت رقبة زوجته مزينة به، لاحظه على رقبتها ـ دعاها تاجر الخيل أن تجلس على كرسى ، خلال ما أن كانت أفـكاره تتضارب بشكل غريب ، وسألها ، ما هو ذلك الذى ساقها

١ ـ محذوف : لما دخلت على كولهاس فى سجنه
٢ ـ المقصود : بزوجته

أليه فى مصالح[1] الامين ، فأجابت المرأة ، خلال ما كان كلب كولهاس العجوز يشمشم حول ركبتيها ، ويهز ذنبه ، وهى تربت بيدها عليه ، أجابت أن التكليف ، الذى أعطاه أياها الامين ، كان هو أن تكشف له عن الاجابة السرية للغاية ، التى تحتويها القصاصة ، على تلك الاسئلة الثلاثة المهمة للبلاط السكسونى ، وأن تحذره من مبعوث ، هو موجود الآن ببرلين ، من أجل الاستحواز عليها ، وأن تطلب منه القصاصة ، بحجة أنها على صدره ، حيث يحملها[2] ، لم تعد فى مأمن ، ـ الا أن الغرض ، الذى تجىء هى من أجله هو لتقول له ، بأن التهديد لاغتصاب القصاصة بمكرة ، أو بالعنف ، أنما هو تخريف ووهم فارغ ، وأنه تحت حماية أمير براندنبورج ، والذى هو تحت رعايته لا داعى لان يخشى أقل شىء من أجلها ، فضلا ، أن الورقة أكثر أمانا لديه عن أن تكون معها ، وأن يحذر جيدا أن يؤثر عليه لتسليمها لاى أنسان ، وتحت أى ستار مهما يكن ، ولو أنها اختتمت حديثها ، بأنها تعتقد ، أنه من الذكاء أن يستخدم

---

١ ــ المقصود به : فى خدمة

٢ ــ محذوف : الآن

القصاصة للغرض الذى من أجله سلمته أياها فى الموسم السنوى فى بيتربوج ، وأن يوافق على العرض الذى قدم له على الحدود من اليونكر فون شتاين، وأن يسلم القصاصة والتى لن يمكنها أن تفيده شخصيا لشىء آخر ، الى أمير سكسونيا ، مقابل الحرية والحياة ، الا أن كولهاس الذى هلل من أجل القوة التى أعطيت له [1] ، أن يصيب عدوه بجرح مميت ، فى اللحظة التى يدوسه بقدمه فى التراب ، أجاب «لا ، ولو من أجل الدنيا كلها يا أماه ، لا ولو من أجل الدنيا كلها !» ، ثم ضغط على يد المرأة العجوز، وكان يود فقط أن يعرف ، ما هى الاجوبة على الاسئلة الهائلة المحتواة فى القصاصة ، وتكلمت المرأة التى كانت خلال ذلك قد أخذت أصغر الاطفال ، الذى كان منكمشا على الارض الى قدميها ، على حجرها: «لا، ولو من أجل الدنيا كلها ، كولهاس يا تاجر الخيل! ، ولكن من أجل هذا الولد الاشقر الصغير الجميل ! »، وبهذا ضحكت له ، ودللته، وقبلته ، والذى كان يحملق فيها باندهاش ، وناولته بيديها العجفاوين تفاحة ، كانت تحملها فى جيبها ، فقال كولهاس

---

١ ــ مستتر : بسبب تملكه لهذه القصاصة

مرتبكا بأن الاطفال أنفسهم ، أذا كانوا كبـارا ، كانـوا سيمتدحونه على تصرفه ، وأنه ما كان ليستطيع أن يعمل من آجلهم ، ومن أجل أحفادهم ، عملا أنفع من ان يحتفظ بالقصاصة . وبالاضافة آلى ذلك ، سأل ، من الذى يؤمنه بعد هذه التجربة التى عملها ضد خيانة جديدة ، وعما أذا كان سيضحى فى النهاية بالقصاصة بلا فائدة للامير الحاكم كما ضحى من عهد قريب بفرقته ، التى جمعها فى ليتسن، وقال «وأن الذى حنث بكلمته مرة معى ، فلن أتبادل معه كلمة أخرى بعد ذلك ، وفقط طلبك أكيدا وواضحا ، هو الذى يفصلنى يا أمى ، يا طيبة !، عن الورقة التى أدت لى ترضية بطريقة عجيبة ؛ عن كل ما تعذبت منه ، فقالت لـه المرأة ، وهى تضع الطفل على الارض ، بأنه ، من كثير من النواحى ، على حق ، وأنه يستطيع أن يفعل ويترك ما يشاء وعند ذلك تناولت ثانيةعكازيها بيديها، وأرادت أنتذهب، فأعاد كولهاس سؤاله خاصا بفحوى القصاصة العجيبة ، أنه كان يرغب ـ حيث أنها كانت تجيب أجابة عابرة ، لو استطاع أن يفتحها ، ولو أن ذلك كان مجرد فضول فقط، ـ يرغب أن يحصل منها على تفسيرايضا لامور أخرى شتى

قبل أن تتركه : من تكون هى فى الواقع وكيف أتت الى العلم الذى تستحوز عليه ، لم امتنعت أن تعطى القصاصة الى الامير الحاكم ، والتى كتبت فى الواقع من أجله ، وأن تناوله هو بالذات هذه القصاصة العجيبة مـــن بين آلاف كثيرة من الناس ، وهو الذى لا يشـــغف أبدا بعلمهـــا ـــ وتصادف الآن فى هذه اللحظة بالذات أن سمعت ضوضاء التى سببها بضعة موظفى شرطة ، الذين كانوا يصعـــدون درج السلم ، بحيث أن المرأة ، وقد استولى عليها قلـــق مفاجىء ، أن يلتقوا بها فى هـــذه المخـــادع ، أجابت «الى الملتقى ياكولهاس ، الى الملتقى! ، لن تنقصك معرفة عـــن هذا كله ، لما تتقابل ثانيـــة !» ، وعنـــد ذلك نادت، وهى تستدير نحو الباب «الوداع أيها الاطفال الاعزاء، الوداع» وقبلت الاولاد الصغار بالدور وذهبت

خلال ذلك استدعى أمير سكسونيا الحاكـــم ، وقـــد استسلم لافكار بائسة ، عالمين فلكيين يدعيان أولدنهـــولم وأولياريوس، اللذان كانا يتمتعان باحتـــرام كبير فى ذاك الحين فى سكسونيا ، واستشارهما فى فحوى القصاصـــة الغامضة ، ذات الاهمية الخاصة له ، ولجميع أسرة ذريته

ولما كان الرجلان لم يستطيعا أن يتفقا بعد فحص عميق ، ومستمر لعدة أيام فى برج القصر فى درسدن ، عما اذا كانت النبوءة تنصب على قرون مقبلة ، أم على الوقت الحاضر، أو أن المقصود بها ربما تاج بولونيا، والذى كانت الاعمال الحربية لا تزال قائمة معه ، فأن هذا الخلاف العلمى لم يفعل ، ألا أن أزاد القلق ــ حتى لا يقال اليأس الذى كان هذا السيد البائس [1] غارقا فيه ــ أزاده حدة ، وبدلا من أن يبدداه ، أزاداه فى النهاية الى درجة ، كانت غير محتملة لنفسه بتاتا ، مضافا الى ذلك أن الامين فى ذاك الوقت ، كلف زوجته ، والتى كانت على وشك أن تلحق به فى برلين ، أن تدخل فى فهم الامير الحاكم ، بطريقة لبقة قبل سفرها ، كيف أن الامل تضاءل فى الاستحواز على القصاصة ، التى هى فى حوزة كولهاس ، بعد تجربة فاشلة عملها مع امرأة، لم تظهر ثانية منذ ذلك[2]، الامل تضاءل، حيث أن حكم الاعدام ، الذى صدر عليه ، وقع عليه الآن من أمير براندنبورج بعد دراسة دقيقة للملفات ، وتحدد يوم

١ ــ الامير الحاكم
٢ ــ المقصود به : منذ عمل التجربة الفاشلة

الاعدام، يوم الاثنين بعد أحد السعف ، وعند سماع أمير سكسونيا هذا الخبر، وقد تمزق قلبه من الحسرة والندم، أغلق نفسه فى غرفته شبيه بأنسان ضائع كليـة ، وامتنـع خلال يومين ، سائما الحياة ، عن تناول الطعام ، وفى اليوم الثالث اختفى فجأة من درسدن ، بعد أبلاغ وجيز للحكومة بأنه رحل للصيد عند أمير ديساو ، وفى الواقع ، أين ذهب هو ، وعما اذا كان يمم الى ديساو ، فهـذا ما ندعه قيـد الشك ، من حيث أن المدونات التاريخية ، والتى نروى من مقارنتها الخبر تتعارض، ويلغى بعضها البعض بشكل غريب فى هذا الموضع ، وأما ما هو ثابت فأن أمير ديساو كان غير قادر على القنص ، وكان راقدا مريضا فى هـذا الوقت فى براونشفايج لدى عمه الامير هينريش، وأن السيدةهيلويزا وصلت فى مساء اليوم التالى الى برلين، عند الامينهركونتز زوجها فى رفقة جراف فون كونجشتاين ، الذىقدمته على أنه آبن عمها ، خلال ذلك كان حكم الاعدام قد تلى على كولهاس ، بناء على أمر الامير الحاكم، رفعت عنه السلاسل وأعيدت أليه الاوراق التى تنص عن ثروته ، والتى انتزعت منه فى درسدن ، ولما سأله المستشارون ، الذين بعث بهم

المحكمة اليه ، كيف يريد أن يتصرف بهذا الذى يملكه بعد موته ، فأنهى وصيته بمساعدة موثق لصالح أولاده ؛ وعين المأمور فى كولهازنبروك صديقه الامين ، وصيـا عليهم ، وبعد ذلك : لم يعادل شيء هدوء ورضى أيامه الاخيرة [1]، اذ أنه بناء على أمر خاص غير عادى للامير الحاكم فتـح عقب ذلك أيضا التسفنجر [2] ، الذى كان موجودا كولهاس بداخله ، وسمح لجميع أصدقائه والذى كان له كثير جدا منهم فى المدينة ، بدخول مطلق اليه بالنهار وبالليل، وحتى كانت له الترضية أيضا ، أن يرى اللاهوتى ياكوب فرايزنج يدخل عليه فى سجنه ، كمبعوث الدكتور لوتر بخطاب بخط

---

١ ـ المقصود به : وبعد أن انتهت الاحداث بهذا الوضع ، لم يكن هناك شيء آخر اطلاقا يعادل فى قدره عنده ، هدوء نفسه ورضاها فى ايامه الاخيرة

٢ ـ التسفنجر ، هوالفراغ الدائرى القائم بين جدران القصور فى القرون الوسطى ، والتى كانت فى العادة مشيدة على طراز الحصون ، وبين أسوارها الخارجية ، والتى كانت عادة كبيرة الارتفاع ، وكان التسفنجر فى تلك العصور يستخدم لاعتقال من يراد اعتقالهم فى مناسبات وظروف خاصة

يده : هو بلا شك شاذ فى نوعه للغاية [1] ، غير أنه ضـاع، وأن يستقبل نعمة العشاء المقدس من هذا السيد الروحانى فى حضرة اثنين من قسس براندنبورج، اللذين كانا يساعدانه بعد ذلك حل يوم الاثنين المشئوم عقب أحد السعف تحت حركة عامة فى المدينة ، والتى كانت لا تزال لا تستطيع أن تتخلى عن الاعتقاد فى الامل فى أمر ينقذه [2]، حل اليوم الذى يجب عليه فيه أن يسترضى العالم ، بسبب محاولته السريعة للغاية فى رغبته فى الحصول على حقه بنفسه، خرج كولهاس فى التو من باب سجنه فى رفقة حرس قوى وطفلاه الاثنان على ذراعيه ــ اذ أن هذا الميز [3] ، كان قد التمسه مشـددا أمام منصة المحكمة ــ يقوده اللاهوتى ياكوب فرايـزنج عندما تقدمت جمهرة من معارفه فى لوعة ، يضغطون على يديه ويودعونه ، وخطا منـه أمين قصر الامير الحاكم ذاهل

---

١ ــ المقصود به : أن هذا الخطاب ، بما قد يكون قد احتواه من رسالة الى كولهاس لابد ان كان شاذا فى نوعه للغاية من ناحية عبارته وفحواه

٢ ــ مستتر : يصدره الامير الحاكم

٣ ــ المقصود به: الرعاية الخاصة لانسان محكوم عليه بالاعدام أن يصرح له بحمل طفليه وهو فى طريقه الى المقصلة

طابع وجهه ، وأعطاه ورقة ، سلمته أياها له ، كما يقول امرأة عجوز ، وخلال ما أن كان كولهاس يتطلع الى الرجل باستغراب ، والذى كانت معرفته به قليلة ، فتح الورقة ، والتى ذكره خاتمها والمطبوع على الشمع ، فى الحال ، بالغجرية المعروفة [1] ، ولكن من الذى [2] يصف الدهشة التى استوليت عليه عندما وجد الخبر الآتى فيها : «يا كولهاس ، أمير سكسونيا الحاكم فى برلين ، وقد سبق بالذهاب الى ساحة الاعدام ، وسيكون مميزا ، اذا كان هذا يهمك ، بقلنسوة بخصلة من الريش الازرق والابيض، ولا داعى لانأقوللك ، الغرض الذى جاء منأجله ، أنهيريد أن ينبش على التغليفة بمجرد أن تدفن ، ويفتح القصاصة الموجودة بها ، المخلصة اليزابيث» ـ استدار كولهاس ، وقد ذهل الى أقصى حد ، الى أمين القصر ، وسأله عما اذا كان يعرف المرأة العجيبة ، التى ناولته القصاصة ، غير أنه، وعندما أجاب أمين قصر، «يا كولهاس، المرأة» ـ وتوقف فى وسط الكلام بشكل غريب ، فأنه [3] لم يستطع، وقد

١ ـ محذوف : له
٢ ـ مستتر : يستطيع أن يصف .. الخ
٣ ـ المقصودة به : كولهاس

انتزعه الموكب السائر فى تلك اللحظة ، أن يستوعب مانطق به الرجل ، والذى لاح ، أنه [1] يرتعش بكل أطرافه ـ فلما جاء كولهاس الى ساحة الاعدام ، وجد أمير براندنبورج الحاكم بحاشيته واقفين هناك ، راكبين جيادهم ، والتى كان من بينها أيضا مستشار الدولة هر هينريش فون جويزاو ، وبين عدد لا يحصى من جمهور الناس : الى يمينه [2] مدعى الامبراطور فرانتز ميلر ، وصورة من حكم الاعدام فى يده والى يساره محاميه [3] الخاص العالم القانونى انطون تزوينار بالقرار النهائى لمحكمة بلاط درسدن ، وفى وسط دائرة مفتوحة الى النصف ، أحاطها [4] الشعب [5] مناد بلفافة أشياء ، وبالجوادين يلمعان من جيد صحتهما ، ويدقان الارض بحوافرهما ، أذ أن مستشار الدولة هر هينريش كان قد رفع الدعوى ضد اليونكر فنتسيل فون ترونكا باسم سيده [6] فى درسدن ، ونفذها نقطة نقطة وبدون أقل

١ ـ مستتر : كان
٢ ـ المقصود به: أمير براندنبورج الحاكم
٣ ـ المقصود به :محامى كولهاس
٤ ـ المقصود به : كونها الشعب
٥ ـ مستتر : وقف
٦ ـ المقصود به : امير براندنبورج الحاكم

تقصير ، بحيث أن الجوادين أعلفا لدرجة الاسمان من رجال اليونكر ، وفى حضرة لجنة خاصة ، عينت لهذا الغـرض ، سلم الجوادان للمحامى فى السوق فى درسدن ، بعد أن أعيد لهما اعتبارهما ، بتلويح علم فوق رأسيهما ، وسحبا مـن يدى حانوتى الحيوانات الذى أطعمهما

بعد ذلك تكلم الامير الحاكم ، عنـدما خطا كولهاس نحوه ، يرافقه الحرس الى الربوة : « الآن يا كولهاس ! اليوم هو اليوم الذى يسلم اليك حقك ! أنظر ، هنا أعيد اليك ثانيا ، كل ما فقدته قسرا فى حصن ترونكنبورج ، والذى كنت أنا مدينا لك بأعادته اليك كسيد بـلادك : الجوادين ، ولفافة الرقبة ، والرايشسـجيلدن ، والملابس وحتى نفقات العلاج لخادمك هرزه ، الذى سقط فى ميلبرج هل أنت راض عنى ؟ » خلال ما أن كان كولهاس يقرأ بعيون منفرجة ، تتلألأ فرحا بالقرار النهائى ، الذى سلم اليه بناء على ايماءة المستشار ، وضع الطفلين ، اللذين كان يحملهما على ذراعيه بجانبه على الارض ، ولما وجد أيضا مادة فيه ، محكوما فيها على اليونكرفنتسيل بسنتين عقوبة سجن ، فأنه جثا من بعيد أمام الامير الحاكم بيدين متعارضتين فـوق صدره ، وقد تملكته مشاعره للنهاية ، وأكد للمستشـار

جذلا ، وقد قام منتصبا وواضعا يده فى حجره ، بأن أجل أمنية له على الارض قد تحققت ، ودنا من الجوادين وتفرسهما ، ثم ربت على عنقهما المكتنز ، وصرح للمستشار فى فرح ، وهو يرتد أليه ، بأنه يهديهما الى ابنيه الاثنين هينريش وليبولد، ووعده المستشار هر هينريش فون جويزاو بأسم الامير الحاكم وهو يلتفت اليه فى عطف من فوق جواده ، بأن أرادته الاخيرة سيحافظ عليها بقدسية، وطلب أليه أيضا أن يبت أيضا فى بقية الاشياء ، الموجودة فى اللفافة حسب حسن تصرفه، عقب ذلك نادى كولهاس والدة هرزه العجوز اليه من بين جمهور الشعب ، والتى كان قد لحظها فى الساحة ، وقال لها وهو يناولها الاشياء ، «هذا يا أماه يخصك» ــ مضيفا الى ذلك أيضا المبلغ الموجود ، كتعويض له مع النقود بداخل اللفافة ، هو كهدية منه لرعاية وانعاش أيام شيخوختها ــ نادى الامير الحاكم «والآن يا كولهاس ، يا تاجر الخيل ، أنت الذى هكذا أرضيت . تأهب لتقدم لصاحب الجلالة الامبراطور ، والواقف مدعيه هنا ، الترضية من أجل عبثك بسلامه العام للبلاد !» قال كولهاس ، وقد خلع قلنسوته وألقى بها على

الارض ، بأنه مستعد لذلك ، وسلم الاطفال الى المأمور في كولهازنبروك، بعد أن رفعهم مرة أخرى من على الارض وضمهم الى صدره ، وتقدم الى مصطبة المقصلة، خلال ما ان كان هذا يقودهم تحت دمـوع صامتـة ، الى خارج الساحة ، وفي تو ما حل اللفافة من حول عنقه وفتح صديريه لحظ في نظرة عابرة على الدائرة التي كونها الشعب، وعلى بعد قليل منه ، وبين فارسين نبيلين ، وقد غطياه جزئيـا ببطنيهما ، الرجل المعروف له جيدا بخصلة الريش البيضاء والزرقاء، حل كولهاس التغليفة من على صدره، وقد دنا منه بخطوة مفاجئة ومذهلة للحرس المحيط به، وأخرج القصاصة وفض خاتمها ، وقرأها وعينه لا تتحول، موجهة الى الرجل ذي خصلة الريش الزرقاء والبيضاء ، والذى كان قد بدأ يفسح المجال لآمال حلوة ، ثم دسها في فمه وبلعها ، سقط الرجل ذو خصلة الريش الزرقاء والبيضاء، عند هذه الرؤيا مغشيا عليه في صرع ، ولكن كولهاس خـلال ما انحنـى مرافقوه المذهلون عليه ، ورفعوه من على الارض ، أتجه الى المقصلة ، حيث سقط رأسه تحت سكين الجلاد، وهنا انتهت قصة كولهاس ، ووضعت الجثة ، تحت نواح عـام

للشعب، فى تابوت، وفى خلال ما رفعها الحمالون ليدفنوها باحترام فى مقبرة ضاحية المدينة ، استدعى الامير الحاكم أولاد الراحل ، ورفعهم الى طبقــة الفرسان النبــلاء مع تصريح الى المستشار، بأن يربوا فى مدرسته لاولاد الاشراف وعاد أمير سكسونيا ، عقب ذلك توا محطم الجسم والروح الى درسدن ، حيث يمكن الانسان أن يطلع فى التاريخ على ما حدث بعد ذلك ، وأما كولهاس فقد كان لا يزال يعيش فى القرن الماضى فى منطقة ميكلينبورج ، بضعة أحفاد منــه سعيدة وقوية ٠



تصحيح ما ورد من اخطاء مطبعية

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
زيارتهما	زيارتها	٥٩	٨
وقتذ	وقتئذ	٦٤	١٤
بتلكيف	بتكليف	٧٢	١٢
هبذا	هذا	٨٦	٩
« الدلو »	جاء طبعها غير ظاهر	١١٩	١٠
كويتز	كونتز	١٥٥	٧
الامبرطور	الامبراطور	١٧٢	١٥

سقطت العبارة الآتية عقب نهاية السطر الاول فى صفحة ١٧٤

(ذا نفع من جراء المساعدة التى وهبها لكولهاس ولكن)


Bibliotheca Alexandrina
03662026